غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الثاني والستون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

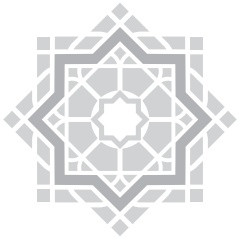

المِحْوَرُ السَّابِعُ

فِقْهُ الأُمَّةِ ودَعْوَتِهَا وصَحْوَتِهَا وحَرَكَتِهَا الإِسْلَامِيَّةُ

١١٢ ثقافة الداعية

١١٣ الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم

١١٤ أمتنا بين قرنين

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

المحور السابـع

فقه الأمة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

غير مرخصة للطباعة

١١٢

ثقافة الداعية

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف: ١٠٨].

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[الزمر: ٩].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوَّأ مقعده من النار**». رواه البخاري.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الَّذي أوتيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**». متفق عليه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفتَوْا بغير علمٍ، فضَلُّوا وأَضلُّوا**». متفق عليه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فإنَّ الدعوة إلى الله تعالى، هي مهمَّة الرسل والأنبياء الَّذين هم خِيَرة الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، وهي مُهِمَّة خلفاء الرسل وورثتهم، من العلماء العاملين، والربَّانيِّين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى؛ لأنَّ ثمرتها هداية النَّاس إلى الحقِّ، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشرِّ، وإخراجهم من الظلمات إلى النُّور: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه، واتِّباع هداه، وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده تعالى بالعبادة والاستعانة والطاعة، والبراءة من كلِّ

QaradawiBooks.com

الطواغيت الَّتي تُطاع من دون الله، وإحقاق ما أحقَّ الله، وإبطال ما أبطل، والأمر بالمعـــروف والنهي عن المنكر، والجهاد في ســـبيل الله. وبعبارة مُوجَزة: الدعوة إلى الإسلام خالصًا متكاملًا، غير مَشُوب ولا مجزَّأ.

ومثل هذه الدعوة إلى هذه المعاني ليســـت بالأمر الهيِّن الَّذي يُقابل بالإغضاء والســـكوت، أو الموافقة والقَبول، وكيف تقبـــل هذه الدعوة العقول الجامدة أو القلوب المريضة، أو القوى المُتَسَلِّطة، أو الفئات الَّتي أضلَّها الهوى أو أغرقها حبُّ الدنيا؟ لهذا كان لا بدَّ لهذه الدعوة العظيمة الشاملة من دعاة أقوياء، يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أنْ يمدُّوا أَشِعَّة ضيائها في أنفس النَّاس وعقولهم وضمائرهم، بعد أنْ تُشرق بها جوانحُهم هم، وتســـتضيء بها حياتهم. إنَّ هذا الداعية المنشود هو القوَّة المُحَرِّكة (الموتور) أو (الدينامو) لعمليَّة الدعوة وحركة سيرها.

إنَّ المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة:

إنَّ المُعَلِّـــم هو العمود الفقري في عمليَّـــة التربية، وهو الَّذي ينفخ فيها الرُّوح، ويُجـــرِي في عروقها دم الحياة. مـــع أنَّ في مجال التعليم والتربية عوامل شتَّى، ومؤثِّرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب، إلى الإدارة، إلى الجوِّ المدرسي، إلى التوجيه أو التفتيش، وكلُّها تؤثِّر في التوجيه والتأثير بنســـب متفاوتة، ولكن يظـــلُّ المُعلِّم هو العصبَ الحيَّ للتعليم.

فماذا يقول المشتغلون بالدعوة والإرشاد في شأن الداعية ومبلغ أثره، وهو العامل الفـــذُّ، الَّذي ينفرد بالتأثير والتوجيه فـــي عمليَّة الدعوة؟ إذ لا يشـــاركه في ذلك عادةً منهجٌ موضـــوع، ولا كتابٌ مقـــرَّر، ولا جوٌّ، ولا إدارةٌ، ولا توجيه.

QaradawiBooks.com

فالداعية وحده هو ـ في غالب الأمر ـ الإدارة والتوجيه والمنهج والكتاب والمُعَلِّم، وعليه وحدَه يقع عبء هذا كلِّه.

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمرًا بالغ الأهميَّة، وإلَّا أُصيبت كلُّ مشروعات الدعوة بالخَيْبة والإخفاق، في الداخل والخارج؛ لأنَّ شرطها الأوَّل لم يتحقَّق، وهو الداعية المهيَّأ لحمل الرسالة.

ومن هنا كان لا بدَّ للداعية الَّذي يريد ـ أو نريد له ـ أنْ ينتصر في معركته على الجهل والهوى، والتسلُّط والفساد، أنْ يتسلَّح بأسلحةٍ شتَّى لازمة له في الدفاع والهجوم.

وأوَّل هذه الأسلحة ـ ولا ريب ـ سلاحُ الإيمان، فبدونه يبطل كلُّ سلاح، وتفشل كلُّ ذخيرة. وليس الإيمان بالتمنِّي، ولكنْ ما وقر في القلب وصدَّقه العمل.

وثاني هذه الأسلحة هو: الأخلاق، وهي من لوازم الإيمان الحقِّ وثماره، و«**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا**»[1].

وقد وصف الله سيِّد الدعاة من خلقه فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، وخاطبه بقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وثالث هذه الأسلحة هو: العلم أو الثقافة، فهذه هي العُدَّة الفِكْريَّة للداعية، بجوار العدَّة الرُّوحيَّة والأخلاقيَّة. والدعوة عطاء وإنفاق، ومَن

(١) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: حسن. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

لم يكن عنده علمٌ ولا ثقافة، كيف يُعطِي غيره، وفاقد الشـــيء لا يعطيه، ومَن لم يملك النصاب كيف يُزَكِّي؟

وحديثنا في هذا البحث عن هذا الجانب خاصَّة: الجانب الفكري أو الثقافي المطلوب للداعية المسلم. كيف يعدُّ الداعية نفسه، أو كيف نعدُّه نحن الإعداد الثقافي المنشود؟ وبعبارة أخرى: ما الثقافة اللازمة للداعية إنْ أردنا أنْ ننشئ مدرسةً للدعاة، أو كلِّيَّة للدعوة، أو أراد أحدنا أنْ يكوِّن من نفسه داعيةً قادرًا على التوجيه والتأثير؟

إنَّ الجواب عن هذا السؤال هو موضوع هذا البحث الَّذي أعددتُه في الأصل للمؤتمر العالمي الأوَّل لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الَّذي دعت إليه الجامعة الإســـلاميَّة بالمدينة المنوَّرة في صفـــر ١٣٩٧هـ. وقد كنتُ أردتُه مختصرًا فطال بالرغـــم مِنِّي، ولعلَّ في ذلـــك الخير، فالموضوع تتطلَّبه الحاجة اليوم، وبخاصَّة أنَّ أكثر من كُلِّيَّة للدعوة أُنشئت وتُنشأ في عالَمنا الإسلامي.

ولقد تبيَّن لي أنَّ الداعية في حاجة إلى مجموعة من الثقافات هي:

١ ـ الثقافة الدِّينيَّة.

٢ ـ الثقافة التَّاريخيَّة.

٣ ـ الثقافة الأدبيَّة واللغويَّة.

٤ ـ الثقافة الإنسانيَّة.

٥ ـ الثقافة العِلميَّة.

٦ ـ الثقافة الواقعيَّة.

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

والمطلوب مـــن الداعية الناجح أنْ يتمثَّل هـــذه الثقافات ويهضمها، ويكوِّن منها مزيجًا جديدًا طيبًا نافعًا، أشـــبه شيء بالنحلة الَّتي تأكل من كلِّ الثمرات، سالكةً سُبل ربِّها ذللًا، لتخرج منها بعد ذلك شرابًا مختلفًا ألوانه، فيه شفاء للناس، كما أنَّ فيه آية لقوم يتفكرون.

وسأتحدَّث عن كلِّ واحدة من هذه الثقافات الستِّ بما يفتح الله به، ويتَّسع له المقام، وبالله التوفيق.

يوسف القرضاوي

الدوحة في: ١٨ ذي الحِجَّة ١٣٩٦هـ

الموافق: ١٠ ديسمبر ١٩٧٦م

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

الثقافة الدِّينيَّة

إنَّ أوَّل ما يلزم الداعية المسلم من عُدَّة فِكْريَّة، أنْ يتسلَّح بثقافة دِينيَّة ثابتة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربِّها.

ونعني هنا بالثقافة الدِّينيَّة: الثقافة الَّتي محورها دِين الإسلام: مصادرُه وأصولُه وعلومه المتعلِّقة به، المنبثقة عنه. وهذا أمر منطقي، فإنَّ الداعية الَّذي يدعو إلى الإسلام، لا بدَّ أنْ يعرف: ما الإسلام الَّذي يدعو النَّاس إليه؟ ولا بدَّ أنْ تكون هذه المعرفة معرفة يقينيَّة عميقة، لا سطحيَّة مضطربة. ولهذا كان لا بدَّ أنْ يستمدَّ هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصليَّة، ومن ينابيعه المصفَّاة، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[1].

وبهذا يكون الداعية على ﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، وتكون دعوته ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ كما أراد الله لرسوله ﷺ، ومَن تبعه واهتدى بهداه، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) إشارة إلى حديث: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين». رواه البيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٨٤)، عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العُذْري.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ للداعيــة إذن أنْ يقف علــى أرض صُلبة، من دراســة العلوم الإســلاميَّة، دراســة وعيٍ وهضمٍ وتذوُّق. ثمَّ يُخرج منها شرابًا مختلفًا ألوانه، فيه شفاءٌ للنَّاس.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن الكريم وتفسيره

القــرآن الكريم هــو المصــدر الأوَّل للإســلام، وبالتالــي للثقافة الإسلاميَّة. كلُّ تعاليم الإســلام يجب أن ترجع في أصولها إلى القرآن: العقائد والمفاهيم، والقِيَم والموازين، والعبادات والشــعائر، والأخلاق والآداب، والقوانين والشرائع. كلُّ هذه قد وضع القرآن أُسسها، وأرسى دعائمها، وجاءت السُّــنَّة فبيَّنت وفصَّلت، وأقامت عليها بنيانًا شــامخًا لا تنال منه الليالي والأيام.

وقد حوى القرآن من حقائق الغيب، وحقائق النفس، وحقائق الحياة، وحقائق الاجتماع الإنســاني، وبيَّن من ســنن الله تعالى، ومن آياته في الأنفس والآفاق ما لا يستغني بشر عن معرفته، والاهتداء به.

وقد صاغ ذلك كلَّه في أســلوب مُعْجِزٍ هو «نور من الكلام، أو كلام من النور» لا يوصف إلَّا بأنَّــه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وصفه منزِّله بأنَّه «نور»، والنور من طبيعته أنْ يضيء ويهدي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

كما وصفه بأنَّه رُوح، والرُّوح من طبيعته أن يحرِّك ويُحيي، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا كان شأن المؤمنين المهتدين بالقرآن: أنْ يوصفوا بالحياة وبالنُّورانيَّة معًا، انتصروا على الموت، وعلى الظلام جميعًا. يقول تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

- **الداعية مع القرآن:**

وينبغي للداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع، بل يحسن بالداعية أن يحفظ القرآن كلَّه ويستظهره، متى تيسَّرت له أسباب ذلك، ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كلِّ مناسبة ممكنة، فالقرآن ذخيرة لا تنفد، ومعين لا ينضب لإمداد الدعاة.

ومن اللازم ـ للحافظ وغير الحافظ ـ دوام التلاوة لكتاب الله بخشوع وتأمُّل وتدبُّر، تنفتح معه أقفال القلوب، وتنشرح الصدور لما جاء به من الحقِّ، وتقتبس العقول منه أنوار المعرفة، وتجتني ثمار الحقائق.

ودوام هذه التلاوة مع التفهُّم والتدبُّر، يجعل الداعية متمكِّنًا من استحضار الشواهد القُرآنيَّة، الَّتي يريد أنْ يؤيِّد بها فكرته، ويمنحها نسبة إلٰهيَّة.

بل إنَّ ممَّا يلزم الداعية الموفَّق أنْ يُحسن تلاوة القرآن بإتقان وترتيل كما أمر الله، وأنْ يدرس من أحكام التجويد ما يصحِّح به قراءته، حتَّى يتلوه بخشوع وتأثُّر وحُزن، فإنْ وجد بكاءً بكى، وإلَّا تباكى.

- **خصائص القرآن:**

وينبغي لمَن يريد أنْ يفهم القرآن: أنْ يقرأه وهو يعي خصائصه ومميِّزاته، ويدركها بعقله وقلبه.

١ ـ كلام الله:

أولى هذه الخصائص: أنَّه كلام الله خالصًا، غير مَشُوبٍ بأوهام البشر، ولا بأهواء البشر، ولا بتحريفات البشر، وانحرافات البشر، فهو كلُّه من الله، مائة في المائة، من ألفه إلى يائه، ليس لجبريل منه إلَّا النقل، ولا لمحمد منه إلَّا التلقِّي والحفظ، ثمَّ التبليغ والبيان: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ومعنى هذا أنَّه يحمل في ثناياه علم الألوهيَّة وحكمتها ورحمتها وقدرتها. الألوهيَّة المتَّصفة بكلِّ كمال، المنزَّهة عن كلِّ نقص، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

ولا غرو أنْ تتَّصف أخبار هذا الكتاب بالصدق الكامل، وأحكامه بالعدل المطلق: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وكلُّ ما في القرآن من أخبار ومواعظ، وأوامر ونواهٍ، وتوجيهات وتشريعات: يتجلَّى فيه الحقُّ كلُّه، والخير كلُّه، والجمال كلُّه، والعدل كلُّه، والحكمة كلُّها، والرحمة كلُّها، والمصلحة كلُّها؛ لأنَّها كلَّها صادرة ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣].

ومن هنا يختم القرآن كثيرًا من آياته التشريعيَّة بمثل هذه الفواصل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

ومن ثمَّ لا يجوز لمخلوق ـ أيًّا كان شأنه ـ أن يفرض نفسه على كلام الخالق: يفرض جهله مدَّعيًا العلم، أو يفرض هواه زاعمًا التحرُّر، أو يفرض نقصه متظاهرًا بالكمال؛ فكلمات الله هي العليا، وهي فوق الجهالات والأهواء والأوهام.

٢ ـ التيسير:

والخصيصة الثانية للقرآن: هي التيسير، فهو كتاب يسَّره منزِّله سبحانه.

يسَّر تلاوته، ويسَّر فَهمه، ويسَّر العمل به لمَن أراد، لا يكلِّف الإنسان شططًا، ولا يُرهقه من أمره عسرًا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢]، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]. ويستطيع كلُّ إنسانٍ سليمِ الفطرة يقرأ القرآن أو يسمعه أنْ يفهم منه، ويتأثَّر به، ويستقي من منهله بقدر ما يتَّسع واديه، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

ولهذا كان من أوصاف هذا الكتاب: الإبانة والوضوح، فهو كتاب «مُبين»، بل هو «نورٌ مُبِين»، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

والنور واضح بيِّن في نفسه، مبيِّن موضِّح لغيره، فكلُّ بصير لا بدَّ أن يرى النور، ولا يستطيع أنْ يرى شيئًا بغير النور.

وكلُّ هذا يوجب على الداعية: أنْ يعرض القرآن سهلًا ميسَّرًا كما

QaradawiBooks.com

أنزله الله، ولا يضعه في إطار من الألغاز والمعمَّيات والتكلُّفات الَّتي تخرجه عن طبيعته الميسَّرة، والميسِّرة كذلك.

كما ينبغي له: ألَّا يكثر من القيل والقال في بيان معاني القرآن، وألَّا يَغرق ـ ويُغرق النَّاس معه ـ في أقاويل يضرب بعضها بعضًا، أو يكرِّر بعضها بعضًا مع اختلاف الألفاظ، دون أن يكون وراءها ثمرة عِلميَّة، أو يخرج منها برأي ناضج محدَّد.

٣ ـ الإعجاز:

ومن خصائص القرآن: أنَّه كتابٌ معجِز، أمر اللهُ رسولَه أن يتحدَّى به المشركين من العرب أن يأتوا بحديث مثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله، فغُلبوا وانقطعوا، وسجَّل القرآن عليهم ذلك في جلاء وصراحة: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فالقرآن ـ بهذا ـ هو آية مُحَمَّد العُظمى، ومعجزته الخالدة.

كانت آيات الأنبياء السابقين ماديَّة حسِّيَّة وقتية، يؤمن بها مَن عاصرها وشاهدها، دون مَن نأى بهم المكان، أو تأخَّر بهم الزمان.

أمَّا القرآن فكان آية عقليَّة أدبيَّة باقية على مرِّ الدهر. وفي هذا جاء حديث البخاري، عنه ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الَّذي أوتيتُ وحيًا أوحى الله إليَّ، فأرجو أنْ أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(١)]. والإعجاز القرآني له

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١)، ومسلم في الإيمان (١٥٢)، واللفظ له، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أوجه أو جوانب عديدة يتجلَّى فيها، وأهم هذه الأوجه أو الجوانب الَّتي تهم الداعية خاصَّة ما يلي:

(أ) **الإعجاز البياني**: وهو ما يتعلَّق ببلاغة القرآن ونظمه وأسلوبه وعباراته وألفاظه، وهو الَّذي وجَّه إليه القدامى همَّهم وأوسعوا القول فيه، وأسهم في ذلك علماء الكلام مثل الباقلَّاني، وعلماء البلاغة واللغة مثل عبد القاهر الجُرجَاني، وعلماء التفسير مثل الطبري، وغيرهم.

وقام المُحْدَثون فيه بجهدٍ مشكورٍ مثل الرَّافِعي في «إعجاز القرآن»، وسيِّد قطب في «التصوير الفَنِّي في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن»، والدكتور بدوي في «بلاغة القرآن»، والدكتور دراز في «النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن»، ومحمد المبارك في «صور أدبيَّة من القرآن»، وبنت الشاطئ في «التفسير البياني للقرآن»، وغيرهم.

(ب) **الإعجاز الموضوعي**: ونعني به: أنَّ القرآن قد جمع من صنوف الهداية والحكمة والموعظة الحسنة، ومن وجوه الإصلاح التوجيهي والتربوي والتشريعي، ما يُسعِد البشر أفرادًا وأُسَرًا وجماعاتٍ ودُولًا، في دينهم ودنياهم، لو أنَّهم اهتدوا به واتَّبعوه، وما يعجز حكماء الأمم ومفكرو الشرق والغرب، أن يأتوا بمثله في شموله وتوازنه وعمقه. هذا مع أنَّ الَّذي أتى به رجلٌ أُمِّيٌّ، نشأ في أُمَّة أُمِّيَّةٍ لا تكتب ولا تَحْسُب.

ولم يهتمَّ الأوَّلون بالتأليف في هذا اللون من ألوان الإعجاز، وإن أشاروا إليه، ونبَّهوا عليه، ضمن بحوثهم عن الإعجاز.

وفي عصرنا بدأت العقول تتَّجه إلى تجديد التحدِّي بالقرآن من ناحية موضوعه ومحتواه، وألَّف في ذلك العلَّامة السيد رشيد رضا كتابه

QaradawiBooks.com

«الوحي المحمدي»، وكتب العلَّامة الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة عدَّة مقالات عنوانها «شريعة القرآن دليل على أنَّه من عند الله».

وألَّف كثيرون في موضوعات قُرآنيَّة شتَّى، مثل «القرآن والقتال» و«القرآن والمرأة» للشيخ شلتوت، و«الإنسان في القرآن الكريم» و«المرأة في القرآن الكريم» للعقاد، و«التربية في القرآن» لمحمد شديد، و«دستور الأخلاق في القرآن» للدكتور دراز، و«الدستور القرآني» لمُحمَّد عزة دَرْوَزَة، وغيرها وغيرها[1].

(ج) **الإعجاز العلمي**: ونعني به: ما يتعلَّق بإشارة القرآن في كثيرٍ من آياته إلى حقائق عِلميَّة كشف عنها العلم الحديث، ووافقت أحدث ما انتهى إليه الكشف العلمي في هذا العصر. مع أنَّها كانت مجهولة في عصر النبوَّة وما بعده لقرون عديدة.

ومثل هذا لا يُتصوَّر أنْ يصدر من بشر، لا يدري ماذا يكسب غدًا، فضلًا عمَّا يكسب غيره، وما تكتشفه البشريَّة بعد قرون وقرون. إنَّما يُتصوَّر أنْ يصدر هذا من خالق الكون ومدبِّره؛ فهو القادر على أن يُودع كتابه من أسرار الوجود ما لا يعلمه غيره، وأنْ يصوغ ذلك في أسلوب يتَّسع لإدراك السابقين، وفَهم اللاحقين. وقد عُني كثيرون من المعاصرين بهذا اللون من الإعجاز، وبخاصَّة المتخصِّصون في العلوم الحديثة، مثل الأساتذة: الدكتور مُحَمَّد أحمد الغمراوي، والدكتور مُحَمَّد جمال الدين الفندي، وعبد الرزاق نوفل، وقبلهم الشيخ طنطاوي جوهري، وغلا بعضهم في ذلك إلى حدِّ التكليف والمجافاة للفظ القرآن وسياقه، وعارضهم آخرون على طول الخط، وتوسَّط فريق ثالث. وخير الأمور الوسط.

وسنعود إلى ذلك فيما بعد.

(١) وكذلك كتابينا: الصبر في القرآن الكريم، والعقل والعلم في القرآن الكريم، نشر مكتبة وهبة.

QaradawiBooks.com

٤ ـ الخلود:

ومن خصائص القرآن: أنَّه كتاب الخلود، ليس كتاب جيل، ولا كتاب عصر، ولا كتاب أجيال أو أعصار محدودة، بل هو الكتاب الخاتم للرسالة الخاتمة، ولهذا تكفَّل الله بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ومن دلائل ذلك أنَّ أربعة عشر قرنًا من الزمن مرَّت على نزول هذا القرآن ولم يزل كما أنزله الله، وكما بلَّغه مُحَمَّد ﷺ، وكما تلقَّاه أصحابه، ومَن بعدهم جيلًا إثر جيل، محفوظًا في الصدور، متلوًّا بالألسنة، مكتوبًا في المصاحف، يستظهره عشرات الألوف من أبناء المسلمين، حتَّى الصبيان منهم، بل حتَّى الأعاجم الَّذين لا يعرفون لغته.

وعلى الداعية أنْ يقرأ القرآن بهذه الرُّوح، وهذه الفكرة: إنَّه كتاب الزمن كلِّه، فلا ينبغي أن يُحمل على ثقافة عصر خاصٍّ، أو أفكار جيل معيَّن، فإنَّ الثقافات تتطوَّر، والأفكار تتغيَّر، والعصور والأجيال تذهب، ويبقى كتاب الله كما أنزله الله.

٥ ـ الشمول:

ومن خصائص القرآن كذلك: الشمول، فكما أنَّه كتاب الزمن كلِّه، هو كتاب الدِّين كلِّه: جمع أصول الهداية الإلٰهيَّة، والتوجيه الربَّاني، في العقائد والشعائر، والآداب والأخلاق، كما جمع أصول التشريع الإلٰهي في العبادات والمعاملات، وشؤون الأسرة وعلاقات المجتمع الصغير والكبير، المحلي والدولي، حتَّى إنَّ أطولَ آية فيه إنَّما أنزلت لتنظِّم شأنًا من شؤون الحياة الاجتماعيَّة، وهو كتابة الدَّيْن.

QaradawiBooks.com

وإلى جانب هذا، هو كتاب الإنسانيَّة كلِّها، وكتاب الحياة كلِّها. ولهذا «جعله الله للنَّاس» و«للعالَمين»، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

فليس هو كتابًا لجنسٍ دون جنس، ولا لوطنٍ دون وطن، ولا لطائفةٍ من النَّاس دون أخرى.

ليس للعقليِّين دون العاطفيِّين، ولا العكس، وليس للرُّوحيِّين دون الماديِّين ولا العكس، وليس للحُكَّام دون المحكومين، ولا العكس، وليس للأغنياء دون الفقراء، ولا للفقراء دون الأغنياء، إنَّه كتاب الجميع، ودستور الجميع.

فالقرآن دستور شامل، وصفه منزِّله ـ وهو ربُّ كلِّ شيء ـ بأنَّه تبيان لكلِّ شيء؛ فقد خاطب الرسولَ المنزلَ عليه بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد قال الخليفة الأوَّل: لو ضاع مِنِّي عقالُ بعير لوجدتُه في كتاب الله[١].

فلم ينزله الله بيانًا للعقيدة أو للعبادة فقط، فيكون كتابًا في اللاهوت. ولا بيانًا للفضائل والآداب فقط، فيضاف إلى كتب الأخلاق. ولا بيانًا للشرائع والأنظمة فحَسْب، فيكون كتابًا في القانون، ولكنَّه كتاب يضمُّ ذلك كلَّه، وفوق ذلك كلِّه، في نسقٍ فريدٍ، ونظمٍ بديع.

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣١/٤)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

اقرأْ هاتين الآيتين في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣١، ٢٣٢].

تُرى كيف نصنِّف هاتين الآيتين؟

إنَّهما تتضمَّنان تشريعًا للأسرة، وتتضمَّنان كذلك تربية وتوجيهات أخلاقيَّة، وإرشادات دِينيَّة، وتذكيرًا بالله واليوم الآخر، وتقرِّران علم الله بكلِّ شيءٍ على حين لا يعلم البشر.

فهل تُحْسَب هاتان الآيتان في التشريع، أم في التربية، أم في العقيدة، أم في الآداب؟ الحقيقة أنَّهما في ذلك كلِّه في وقت واحد.

ومن شمول القرآن: أنَّه لا يخاطب العقل وحده، ولا القلب وحده، بل يخاطب الكِيانَ الإنسانيَّ كلَّه، فيقنع العقل، ويحرِّك القلب في وقتٍ واحدٍ كذلك. فإذا قرأ الإنسان أو سمع مثل هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، يجدها تخاطب الإنسان كلَّه: عقله ووجدانه ورُوحه، فلا يكتفي بخطاب القلب والضمير وحده، كما هو المعهود في كتب الدِّين واللاهوت قبل القرآن، ولا يخاطب الفِكْر والعقل وحده، كما هو شأن كتب الفلسفة قديمًا وحديثًا. إنَّما هو يخاطب الذات الإنسانيَّة بكلِّ مقوِّماتها وخصائصها.

QaradawiBooks.com

يقول المرحوم الأستاذ عبَّاس العقَّاد: «يخاطب الإسلام العقل، ولا يقصر خطابه على الضمير أو الوجدان. وفي حكمه أنَّ النظر بالعقل هو طريق الضمير إلى الحقيقة، وأنَّ التفكير باب من أبواب الهداية الَّتي يتحقَّق بها الإيمان: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦]، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وما كان الشمول في العقيدة ليذهب مذهبًا أبعد وأوسع من خطاب الإنسان، رُوحًا وجسدًا، وعقلًا وضميرًا، بغير بخس ولا إفراط في مَلَكَة من هذه المَلَكات»[1].

وهو لا يخاطب صِنفًا واحدًا من البشر له اتجاه عقلي أو نفسي معيَّن، مغفلًا مَن عداه من الأصناف ذوي الاتجاهات المتعدِّدة.

كلَّا، إنَّه يخاطب كلَّ الأصناف، ويُشبع كلَّ الاتجاهات السويَّة.

(أ) إنَّ طالب الحقيقة العقليَّة يجد في القرآن ما يُرضي منطقه، ويأخذ بلُبِّه إذا سمعه يصيح بالعقل أن ينظر ويفكِّر، ويُهيب به أن يرفض الظنَّ والخَرْص واتِّباع الهوى والتقليد، وأن يعتمد على البرهان وحده.

ويكفي أنَّ مشتقَّات العقل، مثل: «يعقلون» و«تعقلون» ذُكرت في القرآن (٥٨) ثماني وخمسين مرة، وذُكرت مشتقَّات الفكر (١٧) سبع عشرة مرَّة، وذُكرت كلمة «الألباب» أي العقول (١٦) ست عشرة مرَّة.

وهذا غير الآيات الكثيرة الَّتي اشتملت على كلمات ومشتقَّات أُخر مثل: النظر والاعتبار والتدبُّر والحجَّة والبرهان والنُّهَى ونحو ذلك، ممَّا يبحث عنه طلَّاب الحقائق العقليَّة، فلا يجدونه في كتاب ديني غير القرآن.

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد صـ ٢١، ٢٢، نشر نهضة مصر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

(ب) والباحث عن الحقيقة الرُّوحيَّة، يجد في القرآن ما يرضي ذوقه، ويغذِّي وجدانه، ويُشبع نهمه وتطلعاته في آفاق الرُّوح، في مثل قصَّة موسى والعبد الصالح، الَّذي قال الله فيه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

(ج) والحريص على القِيَم الأخلاقيَّة يجد في القرآن ضالَّته وطلبته. وإذا كان موضوع الأخلاق هو «الخير»، فالقرآن قد دلَّ على «الخير»، كما هدى إلى «الحقِّ»، وقد جعل فعل الخير إحدى شُعب ثلاث لمهمَّة المسلم: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، ولكنَّه لم يكتفِ من المسلم بفعل الخير، بل طلب أنْ يدعو إليه ويدلَّ عليه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والأخلاق في القرآن تحتلُّ مساحةً عريضةً لا يتَّسع المقام للحديث عنها، ونوصي بالرجوع إلى «دستور الأخلاق في القرآن» للعلَّامة الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(د) وعاشق القِيَم الجماليَّة يجد في القرآن ما ينمِّي حاسَّته الجماليَّة، ويغذِّي شعوره الفني، وذلك بما لفت إليه القرآن الأنظار من الاستمتاع بجمال الطبيعة: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، وجمال النبات: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]، وجمال الحيوانات: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، وجمال الإنسان: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، وجمال المخلوقات كلِّها: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

ووراء ذلك كلِّه ما احتواه أسلوب القرآن ذاته من جمالٍ معجزٍ في شكله ومضمونه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• تنبيهات للداعية في المجال القرآني:

وأودُّ أن أنبِّه الداعية الَّذي يريد أن يعيش مع القرآن، ليأخذ منه زادًا لقلبه، ويقبس منه نورًا لعقله، ويستمدَّ منه ريًّا لرُوحه، ثمَّ يمدُّ الآخرين بعد ذلك من فيض هذا الرِّيِّ، وذاك النور، وذلك الزاد، إلى عدَّة أمور:

• جمع الآيات في الموضوع الواحد وتصنيفها:

فعلى الداعية إذا أراد أن يتحدَّث في موضوعٍ ما ـ محاضرًا أو مدرسًا أو خطيبًا أو كاتبًا ـ أن يجمع الآيات المتعلِّقة بموضوعه، ويعمل على تصنيفها بما يلائم الغرض، ويوضِّح نظرة القرآن إلى الموضوع.

وينبغي للداعية المتبصِّر هنا أن ينظر نظرتين:

إحداهما: تتعلَّق بالألفاظ القُرآنيَّة المتعلِّقة بموضوعه، وهذه يفيد منها ـ إلى حدٍّ كبير ـ مراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ولا سيَّما لمَن لم يكن مستظهرًا القرآن.

والثانية: تتعلَّق بالمعاني المتَّصلة بموضوعه، وهذه تحتاج إلى بصيرة وفِطنة وحسن إدراك لما له صلة بالموضوع، وإن لم يَرِد بنفس اللفظ والعبارة.

والمهمُّ في هذا وذاك هو حسن التصنيف والتقسيم الَّذي يوضِّح المعالم، ويبرز المقوِّمات والخصائص، ويبيِّن الأهداف والآثار.

لنأخذ مثلًا لذلك، فبالمثال يتَّضح المقال.

إذا أردنا الحديث عن القرآن والعلم، فإنَّنا نجد أنفسنا أمام حشد هائل من الآيات يبلغ المئات. فلهذا نكتفي بأخذ بعضِها وتصنيفها أو وَضْع عناوين لها كما يلي:

QaradawiBooks.com

• أولو العلم قرناء الملائكة:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، فبدأ سبحانه بنفسه، وثنَّى بملائكته، وثلَّث بأولي العلم، مستشهدًا بهم على تفرُّده بالألوهيَّة.

• العلم يرفع أهله عن غيرهم:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

• العلم أساس خشية الله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

• الواجب على الجاهل أن يتَّبع العالم ولو كان أصغر منه:

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ٤٣].

• قد يدرك الأدنى من العلم ما لا يدرك الأعلى:

في قصَّة سليمان حين عزم على معاقبة الهدهد الغائب فجاء يخبره: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢].

وفي قصَّة ابني آدم حيث تعلَّم الإنسان من الغراب: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١].

QaradawiBooks.com

• التعليم يرفع قدر المتعلِّم ولو كان كلبًا:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤]، وبهذا امتاز الكلب المُعَلَّم على كلِّ كلبٍ آخر.

• الأمر بالرجوع إلى أهل العلم:

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فُسِّرت «أولو الأمر» في هذه الآية بالعلماء، كما فُسِّرت بالأمراء، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ [النساء: ٨٣].

ويشير القرآن إلى أنَّ الخبير بالشيء هو القادر على الإنباء بحقيقته ـ دون شـطٍ أو قصورٍ، وذلك في قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. ومن هنا يجب أن يُسأل الخبير دون غيره: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

• العلم بحر لا ساحل له:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

• الازدياد في العلم مطلوب:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

• الأنبياء يطلبون العلم عند مَن هم دونهم:

في قصَّة موسى وفتاه قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٥، ٦٦]، وموسى أفضل خلق الله في زمنه بلا نزاع.

QaradawiBooks.com

- الرحلة في طلب العلم:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف: ٦٠، ٦١].

إلى عشرات أخرى من الآيات تتعلَّق بموضوع العلم، يجدها مَن يعيش مع القرآن.

ويستطيع الداعية المتمرِّس المتدبِّر لكتاب الله أن يخصِّص لنفسه سجلًّا أو كشكولًا يدوِّن فيه الموضوعات القُرآنيَّة، وما يتعلَّق بها من آيات، حسَبما تهديه إليه بصيرته ووعيه، وسيجد نفسه أمام عشرات، بل مئات من الموضوعات الحيَّة الدسمة.

وعليه بعد جمعها أنْ يحرص على تصنيفها بقدر ما يفتح الله عليه، وسيجد عنده بعد زمن ذخيرةً من القرآن لا تنفد، وكنزًا من أسرار الحقِّ لا يفنى.

- **العناية بالقصص القرآني:**

وممَّا ينبغي للداعية الالتفات إليه، والعناية به: القصص القرآني، وما اشتمل عليه من عِبَرٍ وعظاتٍ وأسرارٍ وحِكَمٍ بالغة.

وطريقة القرآن في سرد قصص الماضين لا تعتمد على ذكر التفصيلات، كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها، إنَّما يهتمُّ برؤوس العِبَر، ورسم ملامح الشخصيَّات التَّاريخيَّة، واتِّجاهات الأحداث ونتائجها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

QaradawiBooks.com

وعند سرد القصَّة نجد القرآن الكريم يضمِّنها كثيرًا من الحقائق والأسرار العِلميَّة والتوجيهيَّة والتشريعيَّة، لتنفذ إلى النَّفْس والعقل عن طريقٍ غير مباشر.

فإذا أردنا أن نعرف مثلًا مكانة العلم في القرآن، فإنَّنا نستطيع أن نجد ذلك في آياتٍ كثيرةٍ مباشرة كما أسلفنا، وأنْ نجده كذلك بصورة واضحة في آيات القصص القرآني، وإنْ كانت غير مباشرة. نجد ذلك في أربعة مواضع من القرآن:

الأولى: في قصَّة آدم حين قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، واستغرابهم لذلك في أوَّل الأمر، ثمَّ تسليمهم لآدم بعد أن أثبت الاختيار الإلٰهي تفوُّقه العلمي قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

وهكذا أشار القرآن إلى أنَّ العلم هو المرشِّح الأوَّل للإنسان، ليقوم بوظيفة الخلافة في الأرض.

الثانية: في قصَّة يوسف عليه السلام، وما فيها من استخدام «التخطيط» في السياسة الاقتصاديَّة والتمويليَّة للدولة، كما هو واضح في الخطَّة الخمس عشرية الَّتي وضعها يوسف عليه السلام، وطبَّقها بنجاح، عاد خيره على أهل مصر والمناطق المجاورة لها، في حين يظنُّ بعض النَّاس أنَّ التخطيط ينافي الدين والتوكُّل على الله.

الثالثة: في قصَّة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ، حيث استطاع أحد رجال سليمان أنْ يأتيه بعرشها قبل أنْ يرتدَّ إليه طرفه بواسطة علم عنده:

QaradawiBooks.com

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وكان سليمان في الشام، وعرش بلقيس في اليمن.

الرابعة: في قصَّة ذي القرنين وبنائه السدَّ العظيم من الحديد، مخلوطًا بالنُّحاس المُذاب، وهو ما أثبت العلم الحديث أنَّه يعطي الحديد قوَّة ومتانةً أكبر: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٦، ٩٧].

ومثل ذلك إذا أحببنا أنْ نتعرَّف على مكانة الإيمان في نظر القرآن، فلا ريب أنَّنا سنجد أمامنا عشرات من الآيات الكريمة المباشرة، تحدِّثنا عن الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ولكنَّنا نستطيع أنْ ندرك الإيمان بصورة أقوى وأبلغ إذا نحن تأمَّلنا عددًا من قصص القرآن.

نجد في القرآن قصَّة الشباب حين يؤمن، وماذا يصنع به الإيمان، وذلك في قصَّة فتية أهل الكهف الَّذين واجهوا جمود المنكرين، وطغيان المتجبِّرين: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٣ ـ ١٥].

ونجد في القرآن قصَّة المرأة حين تؤمن، وإن كانت زوجةً لفاجر كفَّار، أو متكبِّر جبَّار. وذلك في قصَّة امرأة فرعون، الَّتي لم تبالِ بمُلْكِ فرعون، ولم يغرَّها منه وعدٌ أو يُثْنِها وعيد: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

QaradawiBooks.com

ونجد في القــرآن قصَّة عوامِّ النَّاس حين يؤمنــون، وكيف يغيِّرهم الإيمان وينشئهم خلقًا جديدًا، ويفجِّر فيهم طاقات نفسيَّة عجيبة كانت دفينة مخبوءة حتَّى أبرزها الإيمان، وذلك في قصَّة سحرة فرعون، الَّذين تبيَّن لهــم الحقُّ على يد موســى فآمنوا به، متحدِّيــن جبروت فرعون وتهديــده: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠ ـ ١٢٦].

• العناية بالنماذج القُرآنيَّة:

وعلى الداعية أنْ يُعنى بالنماذج القُرآنيَّة، الَّتي تصوِّر لنا الشــخصيَّة الإنسانيَّة في مختلف المجالات والأحوال.

ومن هذه النماذج القُرآنيَّة أذكر عدَّة أمثلة:

(أ) نموذج الغنيِّ الشــاكر، في شخصيَّة ســليمان الَّذي قال عندما سمع كلام النملة وفهــم عنهــا: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمــل: ١٩]، كما قال عندمــا أُحضر له عرش بلقيس: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. والقصَّة مفصَّلة في سورة النمل [الآيات: ١٦ ـ ٤٤].

(ب) نموذج الحاكم أو الملك العادل، الَّذي لم يُلْهِه سَعة مُلْكه عن عبادة ربِّه، ورعاية شــعبه، في شــخصيَّة ذي القَرْنَيْن، الَّذي بلغ بفتوحه

QaradawiBooks.com

مطلع الشمس ومغربها، ولكنَّه ظلَّ متمسِّكًا بالعدل: يكافئ المُحْسِن، ويعاقب المُسِيء، ويقاوم المفسدين في الأرض، ويقيم التحصينات والسدود الضخمة مستعينًا بالله أولًا، ثمَّ بجهود الشعوب آخرًا. الآيات من سورة الكهف [٨٣ ـ ٩٨].

(ج) نموذج المُبْتَلى الصابر على البلاء، والراضي بالقضاء، في شخصيَّة أيُّوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: ٤٤].

(د) نموذج الشاب المتعفِّف عن الحرام، برغم فتوَّته وجماله ونضرة شبابه، وقوة دواعي الإغراء من حوله، وإحاطة أسبابها به، في شخصيَّة يوسف الصديق: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

(هـ) نموذج الشاب الممتثل لأمر الله، وإن كان فيه تقديم عنقه قربانًا إلى الله، في شخصيَّة الذبيح إسماعيل بن إبراهيم، حيث قال له أبوه لمَّا بلغ معه السعي: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الآيات من سورة [الصافات: ١٠٠ ـ ١٠٩].

(و) نموذج المؤمن الَّذي يكتم إيمانه لمصلحة، فإذا جاء وقت الحاجة برز بإيمانه يدافع عن الحقِّ، ويقاوم الباطل، ويجادل بالحكمة ويؤثِّر بالموعظة، ويدعو على بصيرة، في شخصيَّة مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآيات من سورة [غافر: ٢٨ ـ ٣٤].

(ز) نموذج الداعية صاحب الرسالة، يُحكم عليه بالسجن ظلمًا، فلا ينسيه ظلم السجن وظلمته حقَّ دعوته عليه، فينتهز كلَّ فرصة لدعوة

QaradawiBooks.com

السجناء إلى توحيد الله واطِّراح الوثنيَّة المخزِّفة، في شخصيَّة يوسف بن يعقوب: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ الآيات من سورة [يوسف: ٣٧ ـ ٤٠].

(ح) نموذج الابن المؤمن وأبوه كافر، وكيف يتلطَّف معه في إسماع الدعوة وتبليغ الرسالة، وذلك في شخصيَّة إبراهيم وأبيه: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ الآيات من سورة [مريم: ٤١ ـ ٨٤].

(ط) نموذج الأب المؤمن وابنه كافر، وكيف حاول الأب إنقاذه فلم يُفلح، وكيف حاول أنْ يشفع له عند ربِّه فعوتب في ذلك أشدَّ العتاب، وذلك في شخصيَّة نوح وابنه الكافر، سورة [هود: ٤٢ ـ ٤٧].

(ي) نموذج المرأة المؤمنة وزوجها كافر متعنِّت بل متألِّه، وذلك في شخصيَّة آسية امرأة فرعون وزوجها الطاغية الجبار الَّذي حشر فنادى فقال: أنا ربُّكم الأعلى، فلم يُطْمِعْها مُلْكُه، ولم يُخِفْها جبروتُه، ولم تعبأ بوعده ووعيده، واتَّجهت إلى ربِّها قائلة: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

(ك) نموذج المرأة الكافرة وزوجها مؤمن، مثل امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

(ل) نموذج الإنسان الخيِّر المسالم، الَّذي يقابل العدوان بالتقوى، والسيئة بالحسنة، والشرَّ بالخير، في شخصيَّة ابن آدم الَّذي تسمِّيه الإسرائيليَّات «هابيل»، والَّذي هدَّده أخوه بالقتل، فأجابه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ

QaradawiBooks.com

ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨، ٢٩].

(م) نموذج الإنسان الشرير، الَّذي يعتدي على أخيه ويَلِغُ في دمه دون جُرم جناه، لا يردعه دينٌ ولا خُلُقٌ ولا رحم، في شخصيَّة ابنِ آدمَ المُسَمَّى «قابيل»، والَّذي لم يردعْه عن قتل أخيه ـ ابنِ أُمِّه وأبيه ـ موقِفُه الإنسانيُّ المثاليُّ منه: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠].

(ن) نموذج الشعب الجبان في وقت الكريهة، الفرَّار في ساعة الشدَّة، المُتَمَرِّد على أنبيائه، في شخصيَّة الشعب الإسرائيلي حين قال له رسوله ومحرِّره ومَن أنقذه الله على يديه، موسى عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢١ ـ ٢٤].

(ص) نموذج الأُمَّة الَّتي لا تحترم نعمة الله، ولا تقوم بحقِّ شكرها، فيسلبها الله منها، وذلك في شخصيَّة قوم سبأ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۞ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

- **حُسْن الاستدلال بآيات القرآن:**

وممَّا ينبغي للداعية أنْ يتحرَّاه ويحرص عليه ويُحْكِمه: حُسْن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره، أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار. فإنَّه إذا أحسن الاستدلال بالنصِّ القرآني، ووضعه في موضعه، أزاح كلَّ شبهة، وقطع كلَّ تَعِلَّة، وأخرس كلَّ معارض، فلا دليلَ بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ولهذا لا يملك المؤمن أمامَ الدليل القرآني إلَّا أنْ يقول: آمنَّا وصدَّقنا. أو: سمعْنا وأطعنا. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أُدخل رجل على المأمون، كان يمشي في النَّاس فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأمورًا من قِبل الخليفة. فقال له المأمون: لمَ تأمر وتنهى، وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]؟!

فقال الرجل: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفتَ نفسك من السلطان والتمكُّن، غير أنَّا أولياؤك وأعوانك فيه، ولا ينكر ذلك إلَّا من جهل كتاب الله وسُنَّة رسوله. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضًا**»[١]. فأعجب المأمون بكلامه، وسُرَّ به، وقال: مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامضِ على ما كنتَ عليه بأمرنا وعن رأينا[٢].

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسُّنَّة، انقطعت حجَّة الخليفة، ولم يجد بُدًّا من إقرار الرجل على ما هو عليه.

وفي مقابل ذلك، دخل واعظٌ على المأمون فوعظه، وعنَّف له في القول، فقال المأمون: يا رجلُ، ارفُقْ؛ فإنَّ الله بعث مَن هو خير منك إلى من هو شرٌّ مني، وأمره بالرفق: بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤][٣].

وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى، لأنَّ الدليل القرآني معه.

والواجب على الداعية أنْ يراعيه في هذا المقام: أنْ يستدلَّ بالمتَّفق عليه، لا بالمُحْتَمَل والمختلَف فيه؛ فإنَّ الدليل الَّذي يتطرَّق إليه الاحتمال، يسقط الاستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن ـ مثلًا ـ يستدلُّ بعض النَّاس بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

مع أنَّ الكتاب في الآية يحتمل أنْ يكون هو القرآن، فيكون الاستدلال صحيحًا، ويحتمل أنْ يكون المراد به «اللوح المحفوظ»، الَّذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، وغيرها

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.
(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣١٧/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.
(٣) المصدر السابق (٣٣٤/٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

من الآيات. والأولى هنا أنْ يستدلَّ على شمول القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهي صريحة في الدلالة على المراد.

كما أنَّ على الداعية: أنْ يتجنَّب الاستدلال بما ليس بدليل.

مثال ذلك: أنَّ بعض النَّاس يستدلُّون على أنَّ من ثمار تقوى الله أن يُعلِّمه ما لم يكنْ يعلم، بقوله تعالى في ختام آية المُداينة من سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والحقُّ أنَّ الآية لا تدلُّ على هذه الدعوى؛ لأنَّها ليست أمرًا وجوابًا، فإنَّما كان يصحُّ ذلك لو كان لفظها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾. أمَّا الآية أو هذه الفقرة منها، فإنَّها تتضمَّن أمرًا بتقوى الله، كما هي سُنَّة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى. ثمَّ بعد ذلك قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، أي هذه الأوامر والأحكام، كما قال في آية أخرى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦].

أمَّا الاستدلال على الدعوى المذكورة، فيمكن بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي نورًا تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل.

ومثلها قوله في سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

بل يمكن أن يستدلَّ بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، لأنَّه يشمل المَخْرَج من الشُّبُهات والمتشابهات.

QaradawiBooks.com

- **الحذر والتحذير من سوء التأويل وتحريف الكلم عن مواضعه:**

ويجب على الداعية أن يَحــذر ويُحذِّر من الانحراف والتحريف، وســوء التأويل لآيات الكتاب، وحملها على معانٍ تُخرجها عما أراد الله بها. وهذا نوع من التحريف الَّــذي ذمَّ الله عليه أهل الكتاب، فقد حرَّفوا كتبهم لفظيًّــا بالزيادة والنقصان، ومعنويًّا بســوء التأويل. أما القرآن فهو محفوظ في الصدور والمصاحف، ولا سبيل إلى تحريفه تحريفًــا لفظيًّا، ولكن قــد يدخل في تفســيره ســوء التأويل، وهو التحريف المعنوي، وأيضًا الرأي المذموم الَّذي جاء الحديث يتوعَّد مَن فسَّر به القرآن[1].

وفي عصرنا ـ كمــا في عصور ســابقة ـ كثرت أســباب الانحراف والتحريف، ومن هذه الأسباب:

١ ـ إخضــاع النصوص للواقــع الزمني، وإن كان مخالفًا للإســلام، ومحاولة أخذها من تلابيبها وتأويلها تأويلًا بعيدًا عن الظاهر؛ لتبرير هذا الواقع بإعطائه سندًا من الشرع.

كما رأينا في محاولات تســويغ نظام الفائدة في البنوك عند ســطوة الرأســماليَّة في البــلاد الإســلاميَّة، ومثلها محــاولات تبريــر التأميم والمصادرة للملكيَّات المشروعة بعد ذلك أيام سطوة الاشتراكيَّة.

ومن ذلك الانحراف في تفســير الآيات والأحاديــث عن مدلولاتها الظاهرة الواضحة إلى تأويلات بعيدة غير سائغة ولا لائقة، ولا منسجمة

(١) إشــارة إلى حديث: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». رواه أحمد (٢٠٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في التفســير (٢٩٥١) وقال: حسن. والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٨٠٣١)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

مع السِّبَاق والسِّيَاق، اتِّباعًا لفكرة شـائعة أو نظريَّة سائدة، لم تبلغ مبلغ الحقائق العِلميَّة. كما وقع في ذلـك بعض العلماء المعاصرين، وغيرهم من الكاتبين المتسرِّعين.

٢ ـ تبنِّي مذهب أو فكرة أو اتجاه سـابق، ثـمَّ اتخاذ النصوص بعد ذلك دليلًا له. وهو ما عبَّر عنه بعض علمائنا: أن يعتقد ثمَّ يستدلَّ، مع أنَّ المنهج السليم أن يستدلَّ ثمَّ يعتقد.

وهذا ما رأينـاه لدى كثيـر من علماء الـكلام والفلاسـفة والفرق المختلفة، والمقلِّدين فـي الفقه، فقد جعلوا مذاهبهم أصلًا، ثمَّ شـدُّوا النصوص شدًّا لتأييد المذهب، وإن كان في ذلك التكلُّف والتمحُّل. وإن لم يجدوا مجالًا للتأويل لجؤوا إلى القول بالنسخ، مع أنَّ النسخ لا يثبت بالاحتمال.

وقد رأينا ابن سـينا وأمثاله من كبار الفلاسـفة في العصور الإسلاميَّة، اعتقدوا صحَّة ما ذهب إليه أرسـطو وغيره من فلاسفة اليونان في الإلٰهيَّات والطبيعيَّات وغيرها، فلمَّا اصطدم ذلك بآيات القرآن الوفيرة، طفقوا يؤوِّلونها تأويلات ترفضها اللغة، كمـا يرفضها الدين، حتَّى كفَّرهم الغزالي ومَن بعده في ثلاث مسائل معروفة، أنكروا فيها ما هو معلوم من الدِّين بالضرورة.

٣ ـ تجزئة النصوص وتفكيكها، وعدم ربـط بعضها ببعض: مع أنَّ الواجب أن يؤخذ في القضيَّة المطروحـة، كلُّ ما ورد فيها من نصوص، والتوفيق بين بعضها وبعض، لمعرفة المعنى المراد من مجموعها.

فمَن أراد أن يعرف حكم القرآن في الربا فلا يسـوغ له أن يقتصر على قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، دون أن يضمَّ إليها قوله تعالى

QaradawiBooks.com

في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، فدلَّ على أنَّ ما زاد على رأس المال فهو ربًا، قليلًا كان أو كثيرًا، وإذن تكون عبارة: ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾، وصفًا لبيان الواقع، وليس قيدًا حقيقيًّا. كما تقول للتجَّار الجشعين: لا تحتكروا الضروريَّات لتربحوا مائتين في المائة، فهذا بيان لواقعهم، وليس معناه أنَّهم إذا احتكروا الطعام ونحوه ليربحوا مائةً أو خمسين في المائة أو أقلَّ أو أكثر كان ذلك حلالًا.

٤ ـ اتِّباع المتشابهات وترك المحكمات: وهذا أصل من أصول الزيغ والضلال، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، بيَّنت الآية الكريمة أنَّ من آيات الكتاب مُحْكَمَاتٍ، أي قاطعات أو واضحات الدلالة لمَن تأمَّلها، وهنَّ أمُّ الكتاب، أي أساسه ومعظمه وأكثره. ومعنى هذا: أنَّ الفرع يجب أن يُردَّ إلى الأصل أو الأم، والأقل يجب أن يفسَّر تبعًا للأكثر. ولكنَّ الضالِّين الَّذين في قلوبهم زيغٌ وانحراف، يجرون وراء المتشابهات، مُتَمَسِّكين بما يظهر لهم منها، موافقًا لأهوائهم، ولو أنَّهم أنصفوا فردُّوا المتشابهات إلى المحكمات، وبعبارة أخرى: «ردُّوا المُحْتَمِلات إلى القواطع والبيِّنات»، لَلَاح لهم الحقُّ واضحًا وضوح الصبح لذي عَيْنَيْن.

QaradawiBooks.com

وإذا تتبَّعنا الفرق المُنْحَرِفة الَّتي خالفت عن صراط السُّنَّة والجماعة منذ صدور الإسلام إلى اليوم، وجدنا من أهم وأبرز أسباب انحرافها: اتِّباع المتشابهات وترك الأصول المُحْكمات.

وما من بدعة من البدع المارقة إلَّا ولأهلها شُبَه يتَّكئون عليها من هذه المتشابهات، حتَّى إنَّ القائلين بوحدة الوجود، وهم ـ كما قال صاحب «إيثار الحقِّ على الخَلْق» ـ أشنع المبتدعين بدعة وأبعدهم عن القرآن والسُّنَّة وأفحشهم قولًا. ومع ذلك يحتجُّون لبدعتهم وضلالهم بمتشابهات من القرآن والحديث، فيذكرون مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧][(١)].

وبحديث: «**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ**»[(٢)].

وأغفل هؤلاء أنَّ الدين كلَّه بقرآنه وسُنَّته، بل الأديان السماوية كلها تنادي بأنَّ في الوجود ربًّا ومربوبًا، وخالقًا ومخلوقًا، وكونًا ومكوِّنًا، فثنائية الوجود من بدهيَّات الدين وضروريَّاته الَّتي لا تحتاج إلى استدلال وإقامة برهان. بل إنَّ النصارى حاولوا ويحاولون أنْ يجدوا في متشابه

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير صـ ٢٩٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.
وما في الحديث صدر بيت للبيد عجزه:
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ
انظر: ديوان لبيد صـ ١٣٢، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

القرآن ما يسند دعواهم بألوهيَّة المسيح أو بنوَّته لله، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، تاركين المحكم من مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

والمقصود أنَّ اتِّباع المتشابه هو دأب الزائغين من قبل ومن بعد.

- **علوم القرآن:**

وممَّا يلزم الداعية معرفته: علوم القرآن، وهي بمثابة مدخل لا بدَّ منه لدراسة القرآن ذاته. وقد أُلِّفت فيها كتب جامعة قديمًا وحديثًا، فمن كتب القدماء: «البرهان في علوم القرآن» للإمام الزركشي، و«الإتقان في علوم القرآن» للحافظ السيوطي. ومن الكتب الحديثة: «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني، و«مباحث في علوم القرآن» للدكتور صبحي الصالح، ومثله للشيخ منَّاع القطَّان، وكثير غيرها ممَّا أُلِّف لطلاب الكلِّيَّات الإسلاميَّة.

كما أُلِّفت كتب قديمة وحديثة في بعض أنواع من علوم القرآن، مثل الكتب الَّتي تبحث في «إعجاز القرآن»، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق. أو ما يتعلق بالتفسير، مثل: «رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية في أصول التفسير»، و«التفسير والمُفَسِّرون» للشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي،

و«النسخ في القرآن الكريم» للدكتور مصطفى زيد. وما كتب حول «ترجمة القرآن» بين المؤيِّدين والمعارضين، مثل الشيخ المراغي ومحمد فريد والشيخ مُحَمَّد سليمان، وغيرهم.

- **تفسير القرآن:**

ولا ريب أنَّ أهمَّ علوم القرآن هو «التفسير»، الَّذي يعين على فَهم المراد من كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشريَّة.

وقد دوِّن في تفسير القرآن مئات ومئات من الكتب منها ما فُقد، ومنها ما لم يُفقد، وهذا الَّذي بقي منه ما طُبع ومنه ما لا يزال مخطوطًا.

من هذه الكتب ما يذهب مذهب الرواية، ويسمَّى «التفسير بالمأثور». ومنها ما ينحو نحو الدراية، ويسمَّى «التفسير بالرأي»، ولكلٍّ منها خصائصه ومميزاته وعيوبه. فمِمَّا يغلب على كتب «التفسير المأثور»: وجود الإسرائيليَّات فيها، وكذلك الموضوع والضعيف من الروايات.

وممَّا يغلب على كتب «التفسير بالرأي»: غلبة الطابع الشخصي أو المذهبي أو الزمني على مؤلِّفها، حتَّى إنَّ التفسير ليتلوَّن بلون صاحبه، وينطبع بطابع عصره وثقافته واتِّجاهه إلى حدٍّ كبير. تفسير العالم اللغوي والنحوي غير تفسير الفقيه، وهما غير تفسير المتكلِّم، وتفسير المعتزلي غير تفسير الأشعري، وتفسير هؤلاء جميعًا غير تفسير الصوفي.

ولا يحسن بالداعية أنْ يكتفي بكتابٍ واحدٍ منها ويهمل سائرها، فإنَّ لكلٍّ منه مزيَّة لا توجد ـ غالبًا ـ عند غيره، فالأولى أن ينهل منها ما استطاع وأن يقبس من كلِّ كتابٍ خير ما فيه، ولبَّ ما يتميَّز به،

QaradawiBooks.com

ويحترز ممَّا فيه من أهواء أو شطحات. فتفسير مثل «الكشَّاف» للزمخشري ـ رغم نزعته الاعتزاليَّة ـ لا يحسن الإعراض عنه، بل ينبغي الاستفادة من مباحثه البلاغيَّة وغيرها، وكذلك فعل أهل السُّنَّة من قديم، لم يمنعهم اعتزاله أنْ ينتفعوا به، فمنهم مَن خرَّج أحاديثه كالحافظ ابن حجر، ومنهم مَن تعقَّبه في مواضع الاعتزال كابن المُنَيِّر.

فإن كان ولا بدَّ من التخيُّر والانتقاء، فإنِّي أُوثر في التفسير كتابي ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، وإن كان ولا بدَّ من أحدهما: فتفسير ابن كثير؛ لأنَّه جمع خلاصة ابن جرير مع زيادة تنقيح وتهذيب، وحسن ترجيح وتعقيب. وقد قال فيه السيوطي في طبقات الحفاظ والزرقاني في شرح المواهب: إنَّه لم يؤلَّف على نمطه مثله[1].

وفي رأيي أنَّه تفسير رواية ودراية معًا.

وأمَّا كتب التفسير بالرأي فيؤخذ منها ويُترك، ولكلٍّ منها مزاياه وعيوبه. ومن أمثلها في نظري تفسير ابن عطيَّة والقرطبي.

أمَّا تفاسير المُحْدَثين، فهي كثيرة منها: تفسير القاسمي، وتفسير المنار، وتفسير ابن عاشور، وتفسير ابن باديس، وفي ظلال القرآن لسيِّد قطب، والتفسير الحديث لدَرْوَزة، وتفسير الأجزاء العشرة الأولى لشلتوت، وغيرها.

ولا يستغني الداعية عن الاستفادة منها، مع الحذر ممَّا قد يكون فيها من غلوٍّ أو تقصير، وكلُّ بشر غير معصوم يؤخذ من كلامه ويترك.

(١) طبقات الحفاظ للسيوطي صـ ٥٣٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

QaradawiBooks.com

وصايا لقارئ كتب التفسير:

ولا أنسى أنْ أهمس في أذن الداعية أو طالب الدعوة، الَّذي يريد أنْ يطالع كتب التفسير، ويغترف من معينها، بعدَّة وصايا، استفدتُها من قراءاتي وتجربتي.

١ ـ الاهتمام بلُباب التفسير:

أمَّا وصيَّتي الأولى، فهي الإعراض عن الحشو والفضول والاستطراد، الَّذي انتفخت به بطون كتب التفسير، من الاستغراق في المباحث اللفظيَّة، أو المسائل النحويَّة، والنكات البلاغيَّة، والتطويل في المجادلات الكلاميَّة، والخلافات الفقهيَّة، وغير ذلك من ألوان الثقافات الَّتي شغلت حيِّزًا ضخمًا من كتب التفسير، حتَّى حجبت قارئها عن إدراك أسرار كلام الله تعالى، وهو الَّذي أُلِّفت كتب التفسير من أجله. وهذا ما جعل أبا حيَّان يقول عن التفسير الكبير أو «مفاتيح الغيب» للإمام الرازي كلمته المشهورة: جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حُكي عن بعض المتطرفين أنَّه قال: فيه كلُّ شيء إلَّا التفسير[1]!

ولا ريب أنَّ هذه الكلمة غلوٌّ من قائلها، ففي الكتاب لفتات تفسيريَّة رائعة لا تجدها في غيره.

(١) تفسير البحر المحيط (٥٤٧/١)، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ. وكذلك قال السيد رشيد رضا عن تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري، لكثرة استطراداته وتوغلاته في العلوم الحديثة المناسبة وغير المناسبة أكثر مما اهتم بالتفسير ذاته. انظر: تفسير المنار (٨/١)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

ولكن استطراداته الطويلة المديدة في شتَّى العلوم، ومجادلاته الواسعة مع أرباب المذاهب الكلاميَّة والفقهيَّة، قلَّلت من الإفادة بالكتاب.

ومن ثمَّ تجب العناية بلباب التفسير، أي: ببيان المراد من كلام الله تعالى قبل الجري وراء القيل والقال، وإضاعة الجهد والوقت فيما لا طائل تحته، ولا ثمرة تُجْنى من ورائه.

وكثيرًا ما يذكر بعض العلماء في الآية عشرة أقوال ـ أو أقلَّ أو أكثر ـ لزيدٍ وعمرو وبكرٍ من الناس، دون أن يُبيِّن أيَّ قول منها هو المعتمد، وقد يختار قولًا منها دون أنْ يوضِّح سرَّ اختياره وترجيحه.

وإذا كان هذا مطلوبًا من كلِّ عالم أو طالب علم، فهو ألزم ما يطلب للدعاة إلى الله. فالداعية لا يؤثِّر في عقول النَّاس وعواطفهم بالمباحث النحويَّة والبلاغيَّة والمجادلات الكلاميَّة والفقهيَّة، وإنَّما يؤثِّر فيهم بما يجلِّيه من أسرار الحقِّ وأنوار الهداية في كلمات الله.

ولهذا يجب على الداعية أنْ يلتفت إلى ما في التفسير من تعقيبات ذوي القلوب الحيَّة، ممَّا قد لا يُعدُّ من «مادَّة التفسير»، وإنْ كان يُعدُّ من «رُوح التفسير» مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فالمعنى واضح، وهو أنَّه تعالى عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم ـ إذا بذلوها في سبيله ـ بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنَّه قَبِل العوض عمَّا يملكه بما تفضَّل به على عباده المُطِيعين له.

ولكن لبعض المفسِّرين من أرباب البصائر هنا لفتات إشراقيَّة، تحرِّك القلوب الهامدة، وتُحيي العزائم الميِّتة، بما فيها من حرارة الصدق،

QaradawiBooks.com

وصفاء الإخلاص. من ذلك قول الحسن البصري وقتادة تعليقًا على الآية: بايعهم ـ والله ـ فأغلى ثمنهم!

وقول الحسن أيضًا: أنفسًا هو الَّذي خلقها، وأموالًا هو الَّذي رزقها[١]!

وقول شِمْر بن عَطِيَّة: ما من مسلم إلَّا ولله في عنقه بيعة وفى بها، أو مات عليها. ثمَّ تلا هذه الآية[٢].

هذا ما ينبغي للداعية أنْ يحرص عليه، ويستظهره، ويستزيد منه.

٢ ـ الإعراض عن الإسرائيليَّات:

وإنَّ ممَّا شـــوَّه تراثنا الثقافي ـ وخصوصًا في ميدان التفسير ـ تسرُّب الإسرائيليَّات إليه، وتعكيرها لصفوه.

وقد بدأ هذا التسرُّب ـ للأسف الشديد ـ منذ عهد مبكر، أي من عهد الصحابة والتابعين، وعلى أيدي أمثال: كعـــب الأحبار، ووهب بن منبه وغيرهما ممَّن دخل في الإسلام من أهل الكتاب. وكذلك ما وصل إلى المسلمين من كتب اليهود والنصارى.

ولكنَّ التسرُّب كان في أوَّل الأمر قليلًا ثمَّ كثر، ضيِّقًا ثمَّ اتَّسع، عفويًّا ثمَّ طفق يأخذ صفة الكيد والتدبير، والدسِّ المتعمَّد.

وكأنَّ اليهوديَّة حين مُنيت أمام دعوة الإسلام بالهزيمة العسكرية، في المدينة وخيبر وغيرهما، أرادت أن تقاوم الإسلام بسلاح آخر يعوِّضها عن هزيمتها، وذلك هو سلاح الغزو الثقافي، فدسَّت إسرائيليَّاتها المنكرة، في

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (٣١٣/٢) نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: تفســير ابن كثير (٢١٨/٤)، تحقيق ســامي بن محمد ســلامة، نشــر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

غفلة من الزمن، فلم تمضِ برهة حتَّى غصَّت بها كتب المسلمين.

هذا مع أنَّ القرآن الكريم قد سجَّل على أهل الكتاب عامَّة واليهود خاصَّة، تحريفهم لكتبهم، وقولهم على الله بغير علم، وإنَّ منهم لفريقًا ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، وأنَّهم ﴿نَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، وأنَّهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦، المائدة: ١٣]، إلى آخر ما دمغهم الله تعالى به من صفات السوء.

ومع أنَّ الرسول ﷺ رأى صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب، فغضب وقال: «**أوَمتهوِّكون فيها** ـ أي أمتحيِّرون في ملَّتكم ـ **يا ابنَ الخطاب؟ لقد جئتُكم بها بيضاء نقيَّة، والَّذي نفسي بيده، لو كان موسى حيًّا ما حلَّ له إلَّا أن يتبعني**»[(١)].

فكيف مع هذا تساهل المسلمون في الأخذ عن أهل الكتاب وعن بني إسرائيل على الخصوص؟ يبدو لي أنَّ هناك سببين لهذا التساهل:

أوَّلهما: ما فهموه من حديث البخاري، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومَن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[(٢)]. وقد ذكره ابن كثير في مقدِّمة تفسيره، مستدلًّا به على جواز التحدُّث عنهم فيما لا نعلم كذبه من ديننا.

---

(١) رواه أحمد (١٥١٥٦) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في المقدمة (٤٤٩)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٣٤/١٣): رجاله موثقون إلَّا أنَّ في مجالد ضَعْفًا. عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وسبب آخر: جعلهم يروون هذه الإسرائيليَّات في التفسير، وهو أنَّ كثيرًا منها يتعلَّق بأمور مسكوت عنها، ليست ممَّا علم المسلمون صحَّته ممَّا بأيديهم ممَّا يشهد له بالصدق، ولا ممَّا علموا كذبه بما عندهم ممَّا يخالفه. ولكنَّها أشياء لا من هذا القبيل ولا ذاك، فلا تُصدَّق، ولا تُكذَّب، وتجوز على هذا حكايتها، وغالبها ممَّا لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

قال الحافظ ابن كثير في مقدِّمة تفسيره، وهو منقول من رسالة شيخه ابن تيمية: «ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم! وعددهم. وعصا موسى من أيِّ الشجر كانت! وأسماء الطيور الَّتي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الَّذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة الَّتي كلَّم الله منها موسى، إلى غير ذلك ممَّا أبهمه الله تعالى في القرآن، ممَّا لا فائدة في تعيينه تعود على المكلَّفين في دينهم ولا دنياهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] إلى آخر الآية»[(١)].

وقد عقَّب على ذلك العلَّامة الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال وأحسن فيما قال: «إنَّ إباحة التحدُّث عنهم ـ فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه ـ شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعيَّن فيها، أو في تفصيل ما أُجمل فيها: شيء آخر؛ لأنَّ في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣١/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٧/١٣) تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ما يوهم أنَّ هذا الَّـذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبيِّـن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصِّل لما أُجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك.

وإنَّ رسـول الله ﷺ إذ أذن بالتحـدُّث عنهـم أمرنـا ألَّا نصدقهـم ولا نكذبهم[١]. فأيُّ تصديـق لرواياتهم وأقاويلهم أقـوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهمَّ غُفْرًا.

وقد قال الحافظ ابن كثير نفسـه في تفسـير الآية (٥٠) من سـورة الكهف، بعد أن ذكر أقوالًا في «إبليس» واسـمه، ومـن أيِّ قبيل هو؟: «وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليَّات الَّتي تُنقل ليُنظر فيها، والله أعلم بحال كثير منهـا. ومنها ما قد يُقطع بكذبه، لمخالفته للحـقِّ الَّذي بأيدينا، وفـي القرآن غُنية عـن كلِّ ما عداه من الأخبار المتقدِّمة؛ لأنَّها لا تكاد تخلو من تبديـل وزيادة ونقصان، وقد وُضع فيها أشـياء كثيرة، وليس لهم من الحفَّاظ المتقنين، الَّذين ينفون عنها تحريف الغاليـن وانتحال المبطليـن، كما لهذه الأمـة من الأئمَّة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء»[٢].

وقال في أوَّل سـورة (قَ): «وقد رُوي عن بعض السلف أنَّهم قالوا: قَ، جبل محيط بجميـع الأرض، يقال له جبل قـاف! وكأنَّ هذا ـ والله أعلم ـ من خرافات بني إسـرائيل، الَّتي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم، ممَّـا لا يُصدَّق ولا يُكذَّب. وعندي أنَّ هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبِّسون به على النَّاس أمر

(١) إشارة إلى حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]». رواه البخاري في التفسير (٤٤٨٥)، عن أبي هريرة.

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٨/٥).

QaradawiBooks.com

دينهم. كما افتري في هذه الأُمَّة ـ مع جلالة قدر علمائها وحفَّاظها وأئمتها ـ أحاديث عن النبيِّ ﷺ، وما بالعهد من قدم. فكيف بأُمَّة إسرائيل، مع طول المدى، وقلَّة الحفَّاظ النقَّاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته. وإنَّما أباح الشارع في الرواية عنهم في قوله: «**وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[(١)]، فيما قد يجوِّزه العقل، فأمَّا فيما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل»[(٢)].

وقال عند تفسير الآيات (٤١ ـ ٤٤) من سورة النمل، وقد ذكر في قصَّة ملكة سبأ أثرًا طويلًا عن ابن عبَّاس، وصفه بأنَّه «منكر غريب جدًّا»، ثمَّ قال: «والأقرب في مثل هذه السياقات أنَّها متلقَّاة عن أهل الكتاب، ممَّا وجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، ممَّا كان، وما لم يكن، ومما حُرِّف وبُدِّل ونسخ، وقد أغناها الله سبحانه، عن ذلك بما هو أصحُّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنَّة»[(٣)].

ولابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره تعقيبات كثيرة من هذا النوع على الإسرائيليَّات، تتضمَّن إنكاره عليها، ورفضه لها، وإن كان يذكرها تبعًا لمَن قبله، وفي بعض الأحيان يرفض ذكرها بالكليَّة، مبقيًا القرآن على إجماله دون الخوض في تفصيلات لم يأتِ بها حديث ثابت عن معصوم.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩٤/٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١٩٧/٦).

QaradawiBooks.com

وذلك كما في تفسير قوله تعالى في سورة «صٓ»: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۞ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ﴾ [الآيات: ٢١ ـ ٢٥]، فقد قال ابن كثير:

«قد ذكر المفسِّرون ههنا قصَّة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليَّات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتِّباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصحُّ سنده؛ لأنَّه من رواية يزيد الرَّقَاشِي، عن أنس رضي الله عنه. ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنَّه ضعيف الحديث عند الأئمَّة. فالأولى أن يقتصر على مجرَّد تلاوة هذه القصة، وأن يردَّ علمها إلى الله عز وجل، فإنَّ القرآن حقٌّ، وما تضمَّنه فهو حقٌّ أيضًا»[1].

وكنتُ أودُّ أن يقف ابن كثير هذا الموقف من قصَّة سليمان في قوله تعالى في سورة «صٓ» أيضًا: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [صٓ: ٣٤]. ولكنَّه رحمه الله، أطال وأطنب في سرد الروايات العجيبة الغريبة المرويَّة عن ابن عبَّاس وقتادة والسُّدِّي ومجاهد وكعب الأحبار، وغيرهم من مفسِّري السلف، وكلُّها ممَّا لا يقبله عقل، ولا يصدِّقه نقل، وقد ذكر حديثًا منها رواه ابن أبي حاتم، عن ابن عبَّاس، ثمَّ قال: «إسناده إلى ابن عبَّاس رضي الله عنه قوي، ولكن الظاهر أنَّه إنَّما تلقَّاه ابن عبَّاس رضي الله عنه، إن صحَّ عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوَّة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنَّهم يكذبون عليه...» إلى أن قال:

«وقد رُويت هذه القصَّة مطوَّلة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، وكلُّها متلقَّاة من قصص أهل الكتاب»[2].

(١) تفسير ابن كثير (٦٠/٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٦٩/٧).

QaradawiBooks.com

فلمَ إذن تسويد الصفحات، وإضاعة الأوقات فيما لا يسنده علم ولا هدًى ولا كتاب منير؟ وقد قال ابن كثير عند تفسير الآيات (٥١ ـ ٦٥) من سورة الأنبياء: «والَّذي نسلكه في هذا التفسير: الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيليَّة، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروَّج عليهم»[١]. وليته أعرض عنها كلَّها، لا عن كثير منها، فإنَّ القليل منها إثمه أكبر من نفعه.

ومن الكلمات البليغة المعبِّرة عن الإنكار والسخط على هذه الإسرائيليَّات ووجوب تنزيه القرآن عنها:

كلمة لابن عبَّاس، رواها البخاري في «صحيحه»، ونقلها عنه الحافظ ابن كثير، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة. فقال ابن عباس: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الَّذي أنزل الله على نبيِّه أحدث أخبار الله، تقرؤونه محضًا لم يُشَبْ! وقد حدَّثكم الله أنَّ أهل الكتاب قد بدَّلوا كتاب الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا. أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله، ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الَّذي أنزل إليكم[٢].

وهذه الموعظة القويَّة الرائعة، رواها البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه[٣].

(١) تفسير ابن كثير (٣٤٨/٥).

(٢) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٦٣)، وفي التوحيد (٧٥٢٢، ٧٥٢٣).

(٣) انظر: مقدمة عمدة التفسير لأحمد شاكر (١٥/١ ـ ١٧)، نشر دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة:

وإذا كان على الداعية أن يحذر من الإسرائيليَّات، الَّتي كدَّرت صفاء التفسير بما دسَّته من سموم، فإنَّ عليه كذلك أن يحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة الَّتي حُشي بها كثير من كتب التفسير.

سواء من ذلك ما كان مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ، وما كان موقوفًا على بعض الصحابة، مثل عليٍّ وابن عبَّاس وغيرهما، وما كان منسوبًا إلى بعض التابعين مثل مجاهد وعكرمة والحسن وابن جبير وغيرهم، أو منسوبًا إلى مَن بعدهم من أهل العلم.

وكان مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن جرير الطبري، يجمعون في تفسيرهم الصحيح والحسن، والضعيف والمنكر، بل الموضوع أحيانًا من الأحاديث المرفوعة والروايات الموقوفة والمقطوعة.

وإذا أخذنا مفسِّرًا كابن عبَّاس مثالًا لنا فيما نقوله: وجدنا الطرق إليه تختلف قوَّة وضعفًا، وقَبولًا وردًّا.

فهناك طريق معاوية بن صالح، عن أبي طلحة، عن ابن عباس. وهذه هي أجود الطرق عنه.

ونحوها: طريق قيس بن مسلم الكوفي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس.

ودونها: طريق ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو ابن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس، وإسنادُها حَسَن.

ودونها: طريق إسماعيل السُّدِّي الكبير، عن أبي مالك، أو عن

QaradawiBooks.com

أبي صالح، عن ابن عباس. والسُّدِّي هذا مختلف فيه، ولكن روى له مسلم وأهل السنن الأربعة.

وهناك طريق ابن جُرَيج، عن ابن عبَّاس، وهذه تحتاج إلى نظر ودقَّة في البحث؛ لأنَّ فيها الصحيح والسقيم؛ لأنَّ ابن جُرَيج لم يقصد الصحَّة فيما جمع.

وهناك طريق الضحَّاك بن مُزَاحِم الهلالي، عن ابن عبَّاس، وهي منقطعة إليه؛ لأنَّ الضحَّاك روى عنه ولم يلقه. وفي هذه الطريق من الضعفاء مَن روى عن الضحَّاك، مثل بشر بن عُمارة، عن أبي رَوق عنه.

وهناك طريق عطيَّة العَوْفِي، عن ابن عبَّاس، وعطيَّة ضعيف.

وطريق مقاتل بن سليمان، وقد ضعَّفوه، وقد يروي عن مجاهد والضحَّاك ولم يسمع منهما، وقد كذَّبه غير واحد، ولم يوثِّقه أحد.

وهناك طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس. وهذه هي أوهى الطرق عنه. فإن انضمَّ إلى طريق الكلبي، رواية مُحَمَّد بن مرْوان السُّدِّي الصغير، فهي سلسلة الكذب، كما قال ابن حَجَرٍ والسُّيُوطي وغيرهما.

ومع هذا، فإنَّ المفسِّرين المتقدِّمين دوَّنوا هذه الروايات بُعجَرها وبُجَرها، حتَّى أوهى الطرق عن ابن عبَّاس، كثيرًا ما يُخرِّج منها الثَّعْلبي والواحدي[1].

وقد كان عذر المُتَقَدِّمين في سياق الروايات: أنَّهم يذكرونها بأسانيدها، معتقدين أنَّهم بذلك قد برئوا من عهدتها بذكر سندها. كما

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (٥٨/١ ـ ٦١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٣٩/٤).

QaradawiBooks.com

قيل: مَن أسند لك فقد حمَّلك. أي: حمَّلك البحث عن رواته ومبلغهم من العدالة والضبط.

وكان العلماء في عصرهم يقدرون على تتبُّع الأسانيد ونقدها، ومعرفة حال رجالها. ولهذا لم يكونوا ـ في أغلب الأحيان ـ يعقِّبون عليها بتصحيح أو تضعيف.

ثم جاء مَن بعدهم، فنقل عنهم هذه الأقوال والروايات بعد حذف أسانيدها، فظنَّها مَن ظنَّها من المتأخِّرين ثابتة، وهي غير ثابتة، وهذا ما أوقع كثيرًا من المعاصرين في الخطأ، حيث يكتفون بنقل الرواية عن الطَّبَري والزَّمَخْشري والنَّسَفي والرَّازي والخازن وغيرهم. وكأنَّ مجرَّد هذه النسبة تُغنيهم عن البحث في قيمة الروايات، ومقدار ثبوتها، ومدى قوَّة أسانيدها.

وحسْبُكَ أنْ تقرأ ما نقله كثير من هؤلاء المفسِّرين في قصَّة زينب بنت جحش وزوجها الأوَّل زيد بن حارثة، وما جاء في شأنها في سورة الأحزاب، وعتاب الله لرسوله في هذا الشأن، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فقد جعلت الروايات من سبب نزول هذه الآية قصَّة حبٍّ عاطفي تخيَّله متخيِّل أو افتراه مفترٍ، زعم أنَّ زينب ظهرت للنبي ﷺ، يومًا بعد زواجها من زيد، فرآها فتعلَّق قلبه بها، ورجع وهو يردِّد: سبحان مقلِّب القلوب! ولكنَّه كتم هذا الحبَّ، إلخ حتَّى نزلت الآية.

QaradawiBooks.com

وهذا الهراء لا دليل في الآية عليه، ولم تصحَّ به رواية، كما لا تسنده دراية، ومع هذا تعلَّق به المستشرقون والمبشِّرون، وجعلوا منه قصَّة درامية غرامية، يتَّخذون منها وسيلةً للطعن في مُحَمَّد ﷺ، وحجَّتهم أنَّ ذلك منقولٌ في أمَّهات كتب التفسير.

وأعجب من ذلك تعلُّق بعض المعاصرين من المسلمين، الَّذين يكتبون في التفسير أو السيرة بهذه الروايات، بدعوى أنَّها في كتب التفسير[(١)].

ورحم الله الإمام الحافظ ابن كثير، فقد قال عند تفسير الآية المذكورة:

«ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثارًا عن بعض السلف رضي الله عنهم، أحببنا أن نضرب عنها صفحًا، لعدم صحَّتها، فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضًا حديثًا من رواية حمَّاد بن زيد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، فيه غرابة، تركنا سياقه أيضًا»[(٢)].

وقد ردَّ كثير من المعاصرين هذه الروايات، معتمدين على النقد الداخلي لها، مثل الدكتور هيكل في «حياة محمد»[(٣)]، والشيخ مُحَمَّد الغزالي في «فقه السيرة»[(٤)].

ومثل ذلك ما يذكره المفسِّرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] الآية من سورة الحج من قصَّة «الغرانيق»، وهي قصَّة مرفوضة لا تقوم على ساقين، ولا يؤيِّدها نقل صحيح ولا عقل صريح.

(١) مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمٰن بنت الشاطئ في كتابها: نساء النبي صـ ١٥٨ ـ ١٦٤، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٤، ٤٢٥).

(٣) حياة محمد لمحمد حسين هيكل صـ ١٧٥ ـ ١٨٢، نشر دار المعارف، مصر، ط ١١، ١٩٧١م.

(٤) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي صـ ٤٣٧ ـ ٤٤٠، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ.

QaradawiBooks.com

وقد قال ابن كثير: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصَّة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة، ظنًّا منهم أنَّ مشركي قريش قد أسلموا، ولكنَّها من طرقٍ كُلِّها مرسلة، ولم أَرَها من وجه صحيح»[١].

ولكنْ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يصنع هنا ما صنع في قصَّة زينب، حيث ضرب هناك صفحًا عن الروايات الضعيفة، ولم يوردها أصلًا. أما هاهنا فحكم بضعفها ولكنَّه ذكرها.

ومثل هذه الروايات الضعيفة المتهافتة يفتح لها المستشرقون صدورهم، ويأخذونها مسلِّمين؛ لأنَّها توافق هواهم، وتخدم فكرتهم، في حين يردُّون ـ كثيرًا ـ الروايات الصحيحة إذا عارضت اتِّجاههم.

٤ ـ الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة:

وممَّا ينبغي أن يحذر منه قارئ التفسير: الأقوال الضعيفة، بل الفاسدة في بعض الأحيان. وهي أقوال صحيحة النسبة إلى قائليها من جهة الرواية، ولكنَّها سقيمة أو مردودة من جهة الدراية. وليس هذا بمستغرَب ما دامت صادرة عن غير معصوم، فكل بشر يصيب ويخطئ، وهو معذور في خطئه، بل مأجور أجرًا واحدًا إذا كان بعد تحرٍّ واجتهاد، واستفراغ للوُسع في طلب الحقّ[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٤١/٥). وقد ألف المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة سمَّاها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، بيَّن فيها بالأدلَّة العلمية بطلان تلك الحكاية. فلتراجع.

(٢) إشارة إلى حديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

وإذا كان ابن عبَّاس رضي الله عنه، وهو ترجمان القرآن وحَبْر الأُمَّة، قد ثبتت عنه آراء في التفسير اعتبرها جمهور علماء الأُمَّة ضعيفة أو شاذَّة، وخالفه فيها عامَّة الصحابة، مثل أقواله في المواريث ونحوها، فكيف بمَن دون ابن عبَّاس، ومَن دون تلاميذ تلاميذه؟!

ولقد رأينا شيخ المُفَسِّرين الإمام أبا جعفر بن جرير الطبري ـ على جلالة قدره، ومنزلة كتابه في التفسير ـ يختار أحيانًا تأويلات ضعيفة، بل هي غاية في الضعف. كتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]، بأنَّ معناها قَيِّدوهنَّ: من هَجَرَ البعيرَ إذا شدَّه بالهِجَار، وهو القَيْد الَّذي يُقَيَّد به. والمراد: تقييد النساء لإكراههنَّ على ما تمنَّعْنَ عنه[١]! ولا عجب إنْ سمَّى الزمخشري تفسيره هذا بتفسير الثُّقَلاء[٢]!

وكذلك اختياره لآيات المائدة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، أنَّها في أهل الكتاب[٣]. هذا مع أنَّ الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

وقد ذُكرت هذه الآيات عند حُذَيْفة بن اليَمَانِ فقال رجل: إنَّ هذا في بني إسرائيل! فقال: نِعْمَ الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كان لكم كلُّ حُلوة، ولهم كلُّ مُرَّة[٤]! يعني كيف يوصف بنو إسرائيل بالكفر أو الظلم أو

(١) تفسير الطبري (٣٠٩/٨)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) الكشاف للزمخشري (٥٠٧/١).

(٣) تفسير الطبري (٣٥٤/١٠).

(٤) رواه الحاكم في التفسير (٣١٢/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

الفسق إذا لم يحكموا بما أنزل الله عليهم، ولا توصفون أنتم بذلك إذا لم تحكموا بما أنزل الله عليكم؟!

والمقصود هو اتِّقاء الضعيف من الأقوال والتأويلات، مهما تكن مكانة قائلها، وقد قال عليٌّ كرَّم الله وجهه: «لا تعرف الحقَّ بالرجال، اعرِف الحقَّ تعرف أهله»[1][2].

* * *

(١) تلبيس إبليس صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) فصلت في كتابي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ما أجملته هنا وزيادة، فليراجع.

QaradawiBooks.com

السُّنَّة النَّبويَّة

والمصدر الثاني للثقافة الدِّينيَّة للداعية هو: السُّنَّة؛ فهي شارحة القرآن والمُبَيِّنة له، والمُفَصِّلة لما أجمل، وفيها يتمثَّل التفسير النظري، والتطبيق العملي لكتاب الله. قال الله تعالى يخاطب رسوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

ولما سُئلت عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُق رسولِ الله ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآن[1].

والسُّنَّة تشمل: أقوال النبيِّ ﷺ وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته، فهي سِجِلٌّ حافلٌ لحياته وجهاده عليه الصلاة والسلام، في سبيل دعوته. حَوَتْ من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدِّين، وحقائق الوجود، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ المواقف، وآيات البلاغة: ثروة طائلة هائلة، لا تنفد على كثرة الإنفاق، ولا تبلى جِدَّتها بكرِّ الغَدَاةِ ومرِّ العِشِيِّ.

ولا يستغني داعية يريد أن يحدِّث أو يدرِّس أو يحاضر أو يخطب أو

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٥٣٠٢).

QaradawiBooks.com

يكتب، عن الرجوع إلى هذا المصدر الغني، والمنهل العذب، ليستقي منه ـ بقدر ما يتَّسع واديه ـ فيرتوي ويروي.

وقد صوَّر النبيُّ ﷺ ما بعثه الله به من الهدى والعلم وموقف النَّاس من الاستفادة منه، والإفادة به، تصويرًا بليغًا معبِّرًا، فيما رواه الشيخان، عن أبي موسى مرفوعًا قال: «**مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم، كمَثَلِ الغَيْثِ الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلأَ والعُشْبَ الكثير، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء، فنفع اللهُ بها النَّاس، فشربوا منها، وسَقَوْا وزرعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى إنَّما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً، ولا تنبتُ كلأً، فذلك مثل مَن فقُه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِمَ وعلَّم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبلْ هدى الله الَّذي أُرسلتُ به**»[1].

والأرض الطيِّبة الَّتي تقبل الماء فترتوي به، وتُنبت العشب والكلأ، مثل أهل الفقه والدراية من أهل العلم. والأرض الثانية الَّتي تُمْسِك الماء لينتفع به غيرها، مثل أهل الحفظ والرواية من أهل العلم. وأمَّا الأرض السَّبِخَة الأخرى فمثل طائفة أهل الجهل والضلال الَّتي لم تنتفع من علم النبوَّة وهداها بشيء.

وكتب السُّنَّة كثيرة جدًّا، ولكن ينبغي للداعية أن يقدِّم ما هو الأهمُّ منها: مثل الكتب الستَّة، ومسند الدَّارِمي، وموطَّأ مالك، ومسند أحمد.

ولبعض هذه الكتب مُخْتَصَرات يمكن أن تكفي من لم تسعفه الهمَّة والوقت بقراءة الأصول ذاتها، مثل «التجريد الصريح» للزَّبِيدي، وهو مختصر للبخاري، حذف منه المكرَّرات والمعلَّقات والأسانيد، وكذلك:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٢).

QaradawiBooks.com

«مختصر صحيح مسلم» للمُنْذِري بتحقيق الألباني. وهناك كتب عملت على جمع هذه الكتب أو بعضها مثل: «جامع الأصول» لابن الأَثِير جمع فيه أحاديث الأصول الخمسة: الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنَّسائي، وجعل سادسها موطأ مالك ـ بدلًا من سنن ابن ماجه؛ لأنَّ فيه كثيرًا من الضعيف. بل فيه أحاديث موضوعة، ولهذا ودَّ بعض الحفَّاظ لو كان مسند الدَّارِمي مكانه، وذلك بعد حذف المكرَّر منها.

ومثله: «مجمع الزوائد» للهيثمي، جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد والبزَّار، وأبي يَعْلَى، ومعاجم الطَّبَراني الثلاثة، وهو مطبوع في عشرة أجزاء، والمراد زوائد هذه الكتب على الكتب الستَّة، على اعتبار ابن ماجه منها.

وقد قام أحد علماء الحديث في القرن الحادي عشر، وهو العلَّامة: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سليمان (المتوفى بدمشق سنة ١٠٩٤هـ) بجهد مشكور في الجمع بين كتابي ابن الأثير والهَيْثَمي، وأضاف إليهما زوائد الدارمي وابن ماجه، فكان هذا الكتاب بحقٍّ موسوعة حديثيَّة جمعت أكثر من عشرة آلاف حديث نبوي من أربعة عشر كتابًا، وسمَّى كتابه «جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد».

وبجوار هذا اللون من تجميع الأحاديث، وُجِدَ لون آخر، أو طريقة أخرى وهي التجميع حسب أوائل الحديث، وفقًا لترتيب الحروف الهجائية.

ومن ذلك ما صنعه الحافظ السيوطي في كتابيه «الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير»، وقد أضاف إليه زيادات ضمَّها الشيخ النبهاني في كتاب سمَّاه «الفتح الكبير بزيادة الجامع الصغير».

والكتاب الآخر هو «الجامع الكبير»، الَّذي حاول أنْ يجمع فيه كلَّ

QaradawiBooks.com

ما وصل إليه من كتب الحديث. وقد رتَّبه الشيخ علاء الدين عليٌّ المُتَّقي من علماء الهند، على الأبواب والموضوعات، في كتابه الَّذي سمَّاه «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال».

وثمَّت كتب أخرى متخصِّصة هدفها تجميع نوع معيَّن من الأحاديث، كأحاديث الأدعية والأذكار وما يتعلق بها، في مثل كتاب «الأذكار» للإمام النووي، وكتاب «الكلم الطيِّب» لشيخ الإسلام ابن تيمية. وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلَّق بها مثل كتاب «الأدب المفرد» للبخاري، وكتاب «شُعَب الإيمان» للبيهقي، وكتاب «رياض الصالحين» للنووي. والأحاديث الَّتي تتضمَّن الترغيب والتحبيب في الخير والطاعة، والترهيب والتخويف من الشرِّ والمعصية، مثل «الترغيب والترهيب» للحافظ المُنْذِري، أو الأحاديث المتعلِّقة بالأحكام الفقهيَّة مثل «عمدة الأحكام» للحافظ المَقْدِسي، ويشمل أحاديث الصحيحين فقط، و«الإلمام» للإمام ابن دقيق العِيد، و«مُنْتَقى الأخبار من أحاديث سيِّد الأخيار» للمجد ابن تيمية، و«بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام» للحافظ ابن حجر.

وإلى جانب هذه الأنواع من الكتب توجد الشروح، وهي كتب جِدُّ نافعة ولا يستغني عنها داعية؛ ففيها من الفوائد الحديثيَّة، والفقهيَّة والأصوليَّة، واللغويَّة والأدبيَّة، والتَّاريخيَّة، والأخلاقيَّة، ما لا يزهد فيه ذو عقل، فهي مفاتيح لمَن أراد أنْ يفتح مغاليق ما أُشكل من الأحاديث، أو بدا تَعَارضُه في الظاهر. وهي مصابيح تُنير الطريق لمَن يريد معرفة ما تتضمَّنه الأحاديث من أحكام وآداب وتشريع وتوجيه. ولا يَسَع عالمًا أن يُعرض عن هذه الشروة ويبدأ وحده من جديد، فهذا منافٍ لمنطق العلم، ومنطق العقل، ومنطق التاريخ.

QaradawiBooks.com

من هذه الكتب:

(أ) شروح البخاري، مثل «عمدة القاري» للعَيِنِي، و«إرشاد الساري» للقَسْطَلانِي، و«فتح الباري» لابن حجر، وهو الَّذي قال فيه الشوكاني: لا هجرةَ بعد الفتح!

(ب) شروح مسلم، وأبرزها: شرح النووي، وشرح الأُبِّي والسنوسي.

(ج) شروح أبي داود، مثل «معالم السنن» للخطَّابي، و«تهذيب السنن» لابن القَيِّم، و«عون المعبود» للديانوي[1]، و«بذل المجهود» للسَّهَارَنْفُورِي، و«المنهل العَذْب المَوْرُود» لمحمود خطَّاب السُّبْكي، ولكنَّه لم يكتمل.

(د) شروح الترمذي، مثل «عارضة الأَحْوَذِي» لابن العربي، و«تُحْفَة الأحوذي» للمُبَارَكْفُورِي.

(هـ) شروح النَّسائي، أعني تعليقات السيوطي والسِّنْدي على السنن الصغرى.

(و) شروح الموطأ: مثل «المنتقى» لأبي الوليد الباجي، و«تنوير الحوالك» للسيوطي، و«المُسَوَّى» للدهلوي، و«أوجز المسالك» لمحمد زكريا الكَانْدَهْلَوِي.

(ز) شرح المسند، في «الفتح الربَّاني» لأحمد عبد الرحمٰن البنَّا، ويتضمَّن ترتيب وشرح وتخريج المسند، وكذلك تعليقات أحمد مُحَمَّد شاكر على الأجزاء الَّتي صدرت من المسند بتحقيقه.

---

(١) وهو المؤلف الحقيقي للكتاب، وإن كان قد نُسِبَ لأخيه محمد أشرف العظيم آبادي.

QaradawiBooks.com

(ح) شرح «مشكاة المصابيح» المسمَّى «مرقاة المفاتيح» للعلَّامة علي القاري في خمسة مجلَّدات، و«مرعاة المفاتيح» للمُبَارَكفوري.

(ط) شرح «الجامع الصغير» للعلَّامة المُنَاوي في كتابه «فيض القدير» في ستَّة مُجَلَّدات، وقد اختصره في شرح مختصر سمَّاه «التيسير»، وقد طُبِعَ في مُجَلَّدَيْن، و«السراج المُنِير» للعزيزي، وقد طبع في ثلاثة مُجَلَّدات.

(ي) شرح «رياض الصالحين»، وهو المسمَّى «دليل الفالحين» في أربعة مُجَلَّدات.

(ك) شروح «الأربعين النوويَّة» و«الخمسين الرجبيَّة»، وأعظم شروحها بلا شكٍّ هو شرح ابن رجب الَّذي سمَّاه «جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم».

(ل) شروح أحاديث الأحكام مثل: «الإحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العِيد، وعليه حاشية الصنعاني المُسَمَّاة «العُدَّة»، ومثل: «نَيْل الأوطار شرح مُنْتَقى الأخبار» للعلَّامة الشوكاني، و«سُبُل السلام شرح بلوغ المرام» للصنعاني.

كما ينبغي الاهتمام بكتب «الغريب» وهي الَّتي تُعنى بشرح المفردات والجمل الغريبة في الحديث، مثل «غريب الحديث» لأبي عُبَيْد، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، وهو موسوعة جليلة، و«مشارق الأنوار» للقاضي عِيَاض.

- **تنبيهات للداعية في مجال السُّنَّة:**

وأودُّ أنْ أنبِّه هنا إخواني الدعاة وأبنائي طلاب الدعوة إلى عدَّة أمور أراها مُهِمَّة لهم في مجال دراسة السُّنَّة.

QaradawiBooks.com

(أ) الاهتمام بالسيرة النبويَّة:

أوَّل هذه التنبيهات: أن يوجِّهوا عناية خاصَّة للجزء العملي من السُّنَّة، وهو الَّذي يتعلَّق بسيرة النبيِّ ﷺ، ويُسَجِّل مواقفه من شتَّى الأمور، وهديه في جميع شؤون الدِّين والدنيا.

ففي هذه الناحية العمليَّة من سُنَّته ﷺ نجد الإسلام مجسَّمًا في حياة بشر، ونجد القرآن حيًّا مُشَخَّصًا يسعى على قدمين، ولما سُئلت عائشة عن خلقه ﷺ قالت: كان خُلُقُه القرآن[1]. أي أنَّه ﷺ كان نموذجًا حيًّا للفضائل والأخلاق الَّتي دعا إليها القرآن.

فإذا كان الإسلام يدعو إلى العدل، ويجعله إحدى قِيَمه العليا، ومبادئه الأساسيَّة، ويقاوم الظلم بكلِّ صُوره، فإنَّ حياة النبيِّ ﷺ وسيرته مثال ناطق لتحقيق العدل في جميع المجالات: العدل مع النفس، والعدل مع الأسرة، والعدل مع الأقارب، والعدل مع الأصدقاء، والعدل مع الأعداء، وهكذا كلُّ ما يمكن من صور العدل ومظاهره. والأمثلة التطبيقيَّة لهذه الأنواع من العدل موفورة في سيرته ﷺ، لا يعجز الداعية عن استخراجها من كتب الحديث والسيرة.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الشورى، بوصفها أساسًا من أُسُس الحياة الاجتماعيَّة والسياسة في الإسلام، فإنَّ سيرة النبي ﷺ هي وسيلة الإيضاح لتطبيق هذا المبدأ الجليل، كما يلمس ذلك الدارس لغزوات مثل: بدر وأُحد وخيبر وغيرها. وإذا كان الإسلام يدعو إلى فضائل خُلُقيَّة معيَّنة، مثل: الصدق والأمانة، والوفاء، والصبر، والسخاء، والشجاعة، والرحمة، وغيرها، فإنَّ سيرة النبيِّ ﷺ هي التطبيق الرائع لهذه الأخلاق.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٢.

QaradawiBooks.com

وهكـذا كلُّ المبـادئ والقِيَـم الَّتي جـاء بها الإسـلام تتجلَّى في حياته ﷺ. ولهذا ينبغي للداعيـة الموفَّق ـ بعد أن يذكر موضوعه معزَّزًا بالآيات والأحاديث النظريَّة ـ أن يؤيِّدها بمواقف من السيرة العمليَّة.

فمَن كان يتحدَّث عن خُلق التواضع، مثلًا، فلا يحسن به أن يكتفي بسرد الآيات والأحاديث في فضله، حتَّى يذكر تواضعه ﷺ في أهله، وفي أصحابه، فقـد كان يخصف نعله، ويرقِّع ثوبه، ويحلب شـاته، ويطحنُ بالرَّحَا مع الجارية والغلام[١].

ويجلس مع صحابته كواحد منهم، حتَّى يأتي الغريب فلا يعرفه من بينهم[٢]، ولا يميِّز نفسـه عنهم في حضر أو سـفر، حتَّى اختار مرة أنْ تكون مهمته جمع الحطب لإنضاج الطعام لهم. وأبى ﷺ في غزوة بدر أنْ يركب وصاحباه يمشـيان ـ وقـد عرضا عليه ذلـك راضيين ـ قائلًا: «**ما أنتما بأقوى مِنِّي على المشي، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر**»[٣].

ولعلَّ من النافع هنا أنْ أذكِّر الإخوة الدعاة بأنَّ للسـيرة مصادر شتَّى غير كتب السيرة الرسـميَّة المعروفة مثل: «سـيرة ابن هشام»، وشرحها للسُّهَيْلي المُسَـمَّى «الرَّوْض الأُنُف»، و«إمتاع الأسـماع» للمَقْرِيزي، أو

(١) عن عائشة، قالت: سئلت ما كان رسـول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شـاته، ويخدم نفسـه. رواه أحمد (٢٦١٩٤)، وقـال مخرِّجوه: صحيح. والبخاري فـي الأدب المفرد (٥٤١)، وابـن حبان في الحظر والإباحـة (٥٦٧٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦٧١).

(٢) عن أنس، قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ، في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟... الحديث. رواه البخاري في العلم (٦٣)،

(٣) رواه أحمد (٣٩٠١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى (٨٧٥٦)، وابن حبان (٤٧٣٣)، كلاهما في السـير، والحاكم في الجهاد (٩١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٢٥٧)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

«السيرة الحلبيَّة» ونحوها. فلا بدَّ من الانتفاع بتلك المصادر كلِّها ما أمكن ذلك.

من هذه المصادر:

(١) القرآن الكريم وتفاسيره، وبخاصَّة المأثور منها.

(٢) كتب الحديث، فهي كما تتضمَّن أقوال النبيِّ ﷺ، تتضمن أفعاله وتقريراته وأوصافه الخَلقيَّة والخُلُقيَّة، ومن ذلك مراحل دعوته وجهاده وغزواته ومواقفه، وهي سجلٌّ حافلٌ لحياته كُلِّها.

(٣) كتب الشمائل والهدي النبوي، مثل «الشمائل المُحَمَّدِيَّة» للترمذي وقد شرحه أكثر من واحد، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيِّم.

(٤) كتب التاريخ العام، مثل: تواريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير، ففي كلٍّ منها فصول ضافية عن السيرة النبويَّة، ولا سيَّما ابن كثير، وقد فُصِّلَتْ السِّيرة من تاريخه وطُبعت محقَّقة مستقلَّة.

(٥) كتب دلائل النبوَّة، وهي الَّتي تعنى بما ظهر على يديه ﷺ من الآيات والخوارق، وما نبَّأ من الغيوب، إلخ.

(ب) جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها:

وما نبَّهنا عليه في شأن القرآن، من العناية بجمع الآيات في الموضوع الواحد، ومحاولة تصنيفها وتقسيمها على أجزائه وعناصره، ننبِّه عليه هنا فيما يتعلَّق بالأحاديث أيضًا.

فعلى الداعية أن يستحضر الأحاديث المتَّصلة بموضوعه من مظانِّها من دواوين السُّنَّة المختلفة، وبخاصَّة ما كان منها مرتَّبًا على الأبواب،

QaradawiBooks.com

مثل الكتب الستة، و«الموطأ»، و«سنن الدارمي»، و«سنن البَيْهَقي»، و«المستدرك»، و«مجمع الزوائد» وغيرها، وكذلك مثل «رياض الصالحين» و«الترغيب والترهيب» ونحوها. مع الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية، كما سنفصِّل ذلك بعد.

وبعد الجمع والاستحضار: تبدأ عمليَّة التصنيف والترتيب، وهذه تحتاج إلى وعي وحسن إدراك، فليس المطلوب هو مجرَّد سرد الأحاديث الواردة في الموضوعات تباعًا، وإنَّما المطلوب الاستشهاد بها على كلِّ عنصر من عناصر الموضوع ما أمكن ذلك.

- **موقف السُّنَّة من العلم:**

هبْ أنَّك تريد أن تبيِّن موقف السُّنَّة من «العلم» الَّذي يلهج به النَّاس في عصرنا ويقولون: إنَّه الأساس الأوَّل لأيِّ حضارة شامخة الذُّرا، وأردتَ أنْ تستشهد على مكانة هذا العلم في السُّنَّة، كما استشهدتَ من قبل على مكانته في القرآن، فهنا ـ بعد أن جمعنا الأحاديث وجُلْنا في رحاب السُّنَّة ـ نستطيع أن نصنِّفها في ضوء هذه العناصر:

(١) الحثُّ على طلب كلِّ علم نافع، والترغيب في التعلُّم والتعليم. وفي ذلك أحاديث كثيرة معروفة في مظانِّها لا تخفى على طالب العلم.

(٢) محاربة الأُمِّيَّة بكلِّ وسيلة مستطاعة، حتَّى إنَّه ﷺ كان يفدي الأسير من قريش في غزوة بدر إذا علَّم عشرةً من أبناء المسلمين الكتابة[1].

(١) رواه أحمد (٢٢١٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في الجهاد (١٤٠/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

(٣) الحثُّ على تعلُّم اللغات، كما أمر ﷺ زيد بن ثابت كاتب الوحي بتَعَلُّم اللغات[١].

(٤) استخدام أسلوب الإحصاء، كما روى البخاري ومسلم عنه، أنَّه طلب إحصاءً بعدد المسلمين بعد الهجرة، فأُحْصُوا له، فكانوا ألفًا وخمسمائة[٢].

(٥) اقتباس أيِّ علم يُفيد الإسلام وأهله، ولو كان من عند غير المسلمين، كما رأينا في الاستفادة من أسرى بدر المشركين، ويستأنس لذلك بحديث الترمذي وابن ماجه: «**الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها**»[٣]، وإن كان سنده ضعيفًا.

(٦) الخضوع لمنطق الملاحظة والتَّجْرِبة في أمور الدُّنْيا، كما ظهر ذلك في موقفه من تأبير النخل، حيث أشار على أصحابه برأيٍ، فأخذوا به ظانِّين أنَّه من أمر الدِّين والوحي، فنبَّههم على أنَّه كان ظنًّا منه، ولم يكن وحيًا من الله، قائلًا لهم: «**أنتم أعلمُ بأمر دُنْيَاكم**»[٤].

(٧) النزول عند رأي الخبراء وأهل المعرفة، كنزوله على رأي الحُبَاب بن المُنْذِر في معركة بدر[٥]، وعلى رأي سلمان في حفر الخندق[٦].

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٩٥)، عن زيد بن ثابت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٩)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦). ولكن معناه صحيح بالإجماع. عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، وابن ماجه في الرهون (٢٤٧١) عن عائشة.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٦٢٠/١)، والطبقات الكبرى (١٤/٢)، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وتاريخ الطبري (٤٤٠/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٦) انظر: عيون الأثر (٨٦/٢)، نشر دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

(٨) الحملة على الدجل والخرافة، والتحذير من الدَّجَّالين والمخرِّفين مثل الكهَّان والعرَّافين والمنجِّمين والسحرة وأمثالهم، رعاية لسُنَّة الله في الخلق، واحترامًا لشبكة الأسباب والمُسَبَّبات، وفي ذلك أحاديث جمَّة.

- **قيمة النِّيَّة في الإسلام:**

ونزيد الأمور وضوحًا بمثال آخر، حول «النيَّة في الإسلام»، فإذا أردتَ أن تلقي الضوء على هذا الموضوع من خلال الأحاديث الشريفة، بالإضافة إلى الآيات الكريمة، يمكننا أنْ نعرض عناصره كما يلي:

١ ـ **الإسلام يجعل النيَّة معيار العمل**، ويهتمُّ بالقلوب لا بالمظهر، وبالباعث لا بالصورة، على عكس ما يفتري المبشِّرون. اقرأْ: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [قَ: ٣٣]، ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩، الصافات: ٨٤]، ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ [الحج: ٣٧]، وفي السُّنَّة: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوَرِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم**»[(١)]، «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[(٢)]، وقد قال جماعة من العلماء: هذا الحديث ثلث الإسلام. وبه ابتدأ كثيرٌ من المُحَدِّثين مصنفاتهم، كما فعل الإمام البخاري في صحيحه.

٢ ـ **النيَّة الصالحة تجعل العادة عبادة**، والمباح طاعة، بل الشهوة قُربة. وفي ذلك جملة أحاديث: «**... حتَّى اللقمة يَضَعُها في فمِ امرأته**»[(٣)].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٤٢)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

«**وفي بُضْعِ أَحَدِكم صدقة**»[١]، «**الخيلُ ثلاثة: ففرسٌ للرحمٰن، وفرسٌ للإنسان، وفرسٌ للشيطان**»[٢].

٣ ـ **النيَّة المدخولة تحبط الطاعات والقُرُبات**، كالهجرة والجهاد والإنفاق، إلخ، «مهاجر أمِّ قَيْس»[٣]، «**مَن غزا في سبيل الله ولم ينوِ إلَّا عِقَالًا فله ما نوى**»[٤]، حديث الثلاثة المرائين، القارئ والمنفق والمجاهد: «**أوَّل من تُسَعَّر بهم النَّار يوم القيامة**»[٥].

٤ ـ صدق النيَّة وحده موجب للمثوبة:

(أ) فيثاب المرء على عملٍ نواه وإن لم يتمَّه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

(ب) ويثاب المرء على عملٍ نواه وقع خطأً، كما في حديث: «**لك ما نويتَ يا يزيدُ، ولك ما أخذتَ يا مَعْن**»[٦].

(ج) ويثاب المرء على عمل نواه وإن لم يعمله أصلًا، وقد ورد ذلك في أمور شتَّى:

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٨٢)، عن أبي ذر.

(٢) رواه أحمد (٣٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٣٨): رواه أحمد ورجاله ثقات، فإن كان القاسم بن حسان سمع ابن مسعود فالحديث صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٩٢)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود موقوفًا.

(٤) رواه أحمد (٢٢٦٩٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والنسائي في الجهاد (٣١٣٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح النسائي (٢٩٤١)، عن عبادة بن الصامت.

(٥) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٢)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه البخاري في الزكاة (١٤٢٢)، عن معن بن يزيد.

QaradawiBooks.com

في الجهاد: «**إنَّ أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شِعْبًا ولا واديًا إلَّا وهم معنا، حَبَسَهم العُذْرُ**»(١).

في الشهادة: «**مَن سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بَلَّغَه اللهُ منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(٢).

في قيام الليل: «**إذا مَرِضَ العبدُ أو سافر كُتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيحٌ مَقِيمٌ**»(٣).

في الإنفاق: «**إنَّما الدنيا لأربعةِ نفر**»(٤) إلى آخر الحديث، الَّذي جعل المُنْفِق في الخير والمُتَمَنِّي بقلبه لمثل عمله في الأجر سواء.

وبإزاء هذا، العقوبة على نيَّة الشرِّ والمعصية: «**إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار**»(٥)، والحديث السابق الَّذي جعل المنفق ماله في الشرِّ ومعصية الله والمُتَمَنِّى لعمله بقلبه ونيَّته مستويَيْن كما قال في الحديث: «**فهما في الوِزْر سواء**».

٥ ـ بركة النيَّة الصالحة:

(أ) معونة الله: «**مَن أخذ أموال النَّاس يريد أداءها، أدَّى الله عنه**»(٦)، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨٣٩)، عن أنس.
(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.
(٣) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٦)، عن أبي موسى الأشعري.
(٤) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرِّجوه: حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥)، عن أبي كبشة الأنماري.
(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.
(٦) رواه البخاري في الاستقراض (٢٣٨٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

(ب) نجاح العمل كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، كما يؤيِّده حديث المتصدِّق على السارق والزانية والغني، حيث أُتي في المنام فقيل له: «**أمَّا صَدَقَتُكَ على سارق، فلعلَّه أنْ يستعفَّ عن سرقته، وأمَّا صدقتُكَ على زانيةٍ، فلعلَّها تستعفُّ عن زناها، وأمَّا صدقتك على غنيٍّ، فلعلَّه يعتبر فينفق ممَّا آتاه الله**»[(١)].

٦ ـ لا تأثير للنيَّة في أمرين:

أوَّلًا: المعاصي والمحرَّمات، فحسن النيَّة لا يجعلها طاعة ولا حلالًا، كمَن أكل الربا ليبني مسجدًا: «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا**»[(٢)]، فالإسلام يريد شرف الغاية والوسيلة معًا، ولا يقبل أن تصل إلى الحقِّ بطريق الباطل.

ثانيًا: العبادات والقُرُبات الَّتي لم يشرعها الله، فليس لأحد أن يخترع أو يضيف شيئًا يتعبَّد به، وإن قصد الثواب، ونوى القربة إلى الله، وهذا أصل يهدم كلَّ ابتداع في الدين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح المشهور: «**مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٣)].

(ج) الحذر من وضع الأحاديث في غير موضعها:

وعلى الداعية كذلك: أن يحذر من سوء الفَهم للأحاديث الصحاح والحسان، الَّتي وردت بها كتب السُّنَّة، وتلقَّاها علماء الأمة بالقَبول، فحرَّفها بعض النَّاس عن مواضعها، وتأوَّلوها على غير تأويلها، وبعدوا بها عمَّا أراد الله ورسوله.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

من ذلك أحاديث لـوت بعض الفـرق أعِنَّتها، لتؤيِّد بهـا مذاهبها، وتعضِّد بها أفكارها، فاتَّخذوا المذاهب أصلًا، وجعلوا النصوص لها تبعًا، صنعوا ذلك مع القرآن، وصنعوا ذلك مع السُّـنَّة، وقلَّما سلمت فرقة من الوقوع في هذه الورطة، إلَّا مَن عصم ربُّك من أهل السُّنَّة وأتباع السلف.

وما وقع فيه القدماء، سـقط في مثله المُحْدَثون، فرأينا بعض النَّاس يتَّخذ من الحديث الصحيح، الَّذي رواه مسلم في قصَّة تأبير النخل، وهو قوله ﷺ: «**أنتم أعلمُ بأمْرِ دُنْياكم**»[1] مستندًا لعزل التشريع الإسلامي في المجالات الاقتصاديَّة والسياسية ونحوها، بزعم أنَّ الرسول ﷺ، فوَّض لنا تنظيم أمر دنيانا، وشؤون حياتنا بهذا الحديث.

والحديث إنَّما يقصد بأمر دنيانا: الشـؤون الفنِّيَّة المتعلِّقة بالوسائل والكيفيَّات، مثل شـؤون الزراعـة والصناعة ونحوها، ممَّـا تُرك لعقول النَّاس واجتهادهم، وإلَّا ما أنزل أطول آية في كتابه لتنظيم شـأن دنيوي وهو كتابـة الدَّين، وما جـاءت مئات النصـوص وآلافها مـن الآيات والأحاديث تنظِّـم عَلاقات النَّاس فـي حياتهم الدنيا، من بيع وشـراء وإجارة وهبة، إلخ.

ومن ذلك الأحاديث الَّتي وردت فيما سـمَّاه العلماء «الفتن» وفساد آخر الزمان؛ فبعضهم يفهم منها ـ أو يضعها موضعًا يفهم منها ـ أنَّ الشرَّ قد عمَّ، وأنَّ سيل الفسـاد قد طمَّ، وأن لا سبيل إلى الخلاص، ولا أمل في إصلاح، وأنَّ الأمور لا بدَّ أن تسير من سَيِّئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشدِّ سُـوءًا، إلى أن تقوم السـاعة. وطالما سـمعتُ بعض المرشدين الدِّينِيِّين يجمعون أحاديث الفتن وأشـراط الساعة، وما شابهها في نسق

(١) سبق تخريجه صـ٧٢.

QaradawiBooks.com

يوحي باليأس من أيِّ عمل، ونفض اليد من كلِّ محاولة للعلاج أو الإصلاح أو التصدي للفساد، وهذا ما رسخ في أذهان كثير من العامَّة، بل بعض الخاصَّة، فإذا دعوتهم للإسهام في عمل جماعي إيجابي تؤدِّي به الجماعة فرض الكفاية الواجب عليها، وتُسقط به الإثم والحرج عنها، شهروا في وجهك هذه الأحاديث!

ولعلَّ أقربَ مثل يُذكر هنا حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(١)]، وهو حديث صحيح، رواه مسلم وغيره. فمن النَّاس مَن يتَّخذ من هذا الحديث سندًا وحجَّة له في القعود عن واجب الدعوة إلى الإسلام، وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعارض به كلَّ دعوة جادَّة لاستعادة حكم القرآن، وإقامة دولة الإسلام.

فهل يُتصوَّر أنَّ الرسول الكريم قال هذا الحديث، ليثبِّط عزائم أُمَّته عن الدعوة والعمل لدينهم، وليطفئ جمرة الأمل في قلوبهم؟

لا، ثمَّ لا. إنَّما أراد أن يحذِّرهم ليتنبَّهوا، أو ينبِّههم ليحذروا، إنَّه بمثابة إشعال الضوء الأحمر علامة على الخطر؛ حتَّى يتفادى السائرون السقوط في الحُفَر أو الاصطدام بالغير.

ولم يُرِد الحديث أبدًا أن يغلق باب الأمل، أو طريق العمل، على أهل الخير. كيف! وقد قال في آخر الحديث: «**فطوبى للغرباء**»، وفي بعض روايات الحديث عند غير مسلم: قيل: ومَن الغرباء، يا رسولَ الله؟ قال: «**الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس بعدي من سُنَّتي**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسن. والطبراني (١٦/١٧)، عن عمرو بن عوف المزني.

QaradawiBooks.com

ففي هذا دعوة صريحة إلى إصلاح ما أفسد النَّاس من منهج النبوَّة، والعمل الجاد لردِّ الشاردين إلى الطريق المستقيم.

وفي حديث آخر: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاع من القبائل**»[١]. أي الَّذيـــن نزعوا عن أهليهم وعشـــيرتهم، وهاجروا بأبدانهـــم، أو بعقولهم وقلوبهم في سبيل الإسلام.

وفي حديث غيره قيـــل: ومن الغُرَبـــاء، يا رســـولَ الله؟ قال: «**ناس صالحون قليلٌ في ناسٍ كثير، مَن يعصيهم أكثر ممَّن يُطِيعهم**»[٢].

هؤلاء الغرباء ـ إذن ـ ليســـوا طائفة مترهِّبة منعزلة، بل هم طائفة قائمون على الحقِّ، يؤدُّون دور الصحابة في بدء نشأة الإسلام، فقد كانوا غرباء ولم تُثْنِهم غربتهم عن الدعوة والجهاد، وإن كان مَن يعصيهم أكثر ممَّن يطيعهم.

فالمقصود ـ إذن ـ بمثـــل هذا الحديث: هو التنويـــه بالغرباء، الَّذين يَصلحون إذا فسد الناس، ويُصلحون ما أفسد الناس، وحثُّ كلِّ مسلم أن يكون واحدًا من هؤلاء، أو ـ على الأقـــلِّ ـ يكون عونًا لهم، إن لم يكن منهم، فالحديث دعوة إلى البناء والإيجابيَّة، وليس إلى اليأس أو الفرار من الميدان، بدعوى فساد الزمان.

نَعِيـــبُ زَمَانَنَـــا والعيـــبُ فِينَـــا وَمَـــا لِزَمَانِنَـــا عَيْـــبٌ سِـــوَانَا[٣]!

---

(١) رواه أحمد (٣٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناد صحيح على شرط مسلم. وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٨)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٦٦٥٠)، وقال مخرِّجوه: حســـن لغيره. والطبراني في الأوســـط (٨٩٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائـــد (١٢١٩١): فيه ابـــن لهيعة وفيه ضعف. وصحَّحـــه الألباني في الصحيحة (١٦١٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) من شـــعر الإمام الشـــافعي، كما ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢٨٤/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

ومن الأحاديث الَّتي تُذكر هنا، ما رواه أحمد وأبو داود، عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها**». قالوا: أمِنْ قلَّة نحن يومئذٍ، يا رسولَ الله؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غُثَاء كغثاء السَّيْل، ولينزعنَّ اللهُ من صدور عَدُوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهْن**». قالوا: وما الوهن، يا رسولَ الله؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت**»[1].

فالرسول ﷺ حين ينبِّه الأُمَّة في هذا الحديث إلى المؤامرات الدوليَّة الَّتي تُحاك لها في المستقبل، والَّتي كشف الله له الحجب عنها، فأخبر عنها كأنَّه يراها رأي العين، وكأنَّه معنا يعايشها، لم يقصد بذلك تيئيس الأُمَّة من مقاومة كيد أعدائها، بل أراد أنْ يلفتها إلى مؤامرات خصومها في الخارج وتكالبهم عليها، لتلتفت هي إلى نفسها في الداخل، وإلى عوامل الضعف الَّتي تنخر في كيانها المعنوي، رغم كثرتها العدديَّة، حتَّى تحاول التغلُّب عليها، فإنَّ أوَّل مراحل العلاج أنْ تعرف أسباب المرض.

على أنَّ هناك أمرًا يجب أن ننبِّه عليه دارس السُّنَّة في مواجهة أحاديث الفتن ونحوها، وهو أنْ نرفع نحن في وجه المُثَبِّطين ـ الَّذين يضعون الأحاديث في غير موضعها ـ الأحاديث المبشِّرات، الَّتي تنير القلوب بأشعَّة الأمل، وقوَّة الرجاء، في غد الإسلام، ومستقبل المسلمين ومن ذلك:

١ ـ ما رواه أحمد في صحيحه: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر** (يعنى هذا الدِّين) **ما بلغ الليلُ والنَّهار، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله**

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

الله هذا الدِّينَ، بعزِّ عزيز، أو بذلِّ ذليل، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفر»[(١)].

٢ ـ ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه، من حديث ثوبان مرفوعًا: «**إنَّ الله زوى لي الأرض** (أي جمعها وضمَّها) **فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها...**»[(٢)].

٣ ـ ما رواه أحمد والدارمي وابن أبي شَيْبة والحاكم وصحَّحه، عن أبي قَبِيل قال: كُنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أيُّ المدينتَيْن تُفْتَح أوَّلًا، القُسْطَنْطِينِيَّة أو رُومِيَّة؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أيُّ المدينتين تفتح أولًا، القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أولًا!**». يعني القُسْطَنْطِينِيَّة[(٣)]. ورومِيَّة هي «روما» عاصمة إيطاليا، وهكذا كانت تُلفظ كما في معجم البلدان، وقد فُتحت الأولى وبقيت الثانية. ولن يتخلَّف ما بشَّر به الصادق المصدوق.

٤ ـ ما رواه أبو داود والحاكم وصحَّحه والبَيْهَقي في المعرفة، عن أبي هُرَيْرة مرفوعًا: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن**

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

(٣) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

يجدِّد لها دِينَها»[١]، قال الحافظ العراقي وغيره: سنده صحيح. ولذا رمز السيوطي لصحَّته في الجامع الصغير.

٥ ـ ما رواه أحمد والترمذي، عن أنس[٢]، وأحمد عن عمَّار بن ياسر[٣]، وأبو يَعْلى عن عليٍّ[٤]، والطبراني عن عبد الله بن عمرو[٥] ـ بإسنادٍ حَسَنٍ ـ مرفوعًا: «**مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المطر، لا يُدرى أوَّله خيرٌ أم آخره**»، أي كما أنَّ لكلِّ نوبة من نوبات المطر فائدتها في النماء، كذلك كلُّ جيل من أجيال الأُمَّة له خاصيَّة توجب خيريَّته.

٦ ـ ما رواه أحمد والبزَّار، عن حُذَيْفة بن اليَمَانِ مرفوعًا: «**تكون النبوَّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء، ثمَّ تكون خلافة على منهاج النُّبُوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون مُلْكًا عاضًّا** ـ وفي رواية: عضوضًا. يعني: فيه عضٌّ وظلم ـ **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثمَّ تكون ملكًا جبريًّا** ـ ملك فيه قهر وجبروت ـ **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثمَّ تكون خلافة على منهاج**

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٤٦١)، وقال مخرِّجوه: حديث قويٌّ بطرقه وشواهده. والترمذي في الأمثال (٢٨٦٩)، وقال حسن غريب.

(٣) رواه أحمد (١٨٨٨١)، وقال مخرِّجوه: حديث قويٌّ بطرقه وشواهده. والطيالسي (٦٨٢)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢٢٦).

(٤) رواه أبو يعلى كما في الجامع الكبير للسيوطي (١١٠٤٢).

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧١٠): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمٰن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

النُّبُوَّة». ثمَّ سكت[١]. وقد تحقَّق جُلُّ ما أخبر به النبي ﷺ في الحديث من الخلافة الراشـــدة، والملك العضوض، والملك الجبري، وبقيت الخلافة المنشودة الموعود بها، وهي الخلافة على منهاج النُّبُوَّة، الَّتي لم تتحقَّق بعد، ولا بدَّ أنْ تتحقَّق إنْ شـــاء الله، ولكن يجب أنْ نعمل لتحقيقها وإيجادهـــا، وإنَّما توجد وفقًا لســـنن الله بعمـــل العاملين، وجهود المؤمنين.

وثمَّت أحاديث أخرى كثيرة منها:

٧ ـ «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمـــر الله، لا يَضُرُّهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون للنَّاس»[٢].

٨ ـ «لن يبرحَ هـــذا الدِّينُ قائمًا، تُقاتلُ عليه عصابةٌ من المســـلمين، حتَّى تقوم الساعة»[٣].

٩ ـ «لا تزال طائفةٌ مـــن أُمَّتي يقاتلون على الحـــقِّ ظاهرين على من ناوأهم، حتَّى يُقاتلَ آخرُهم المسيحَ الدجَّال»[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبزار (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوســـط ورجاله ثقـــات. وقال الحافظ العراقي في محجـــة القرب إلى محبة العرب صـ ١٧٦، ١٧٧: هذا حديث صحيح. نشـــر دار العاصمة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومســـلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٢)، وأحمد (٢٠٩٨٥)، عن جابر بن سمرة.

(٤) رواه أحمد (١٩٩٢٠)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٤٨٤)، والحاكم (٤٥٠/٤)، كلاهما في الجهاد، وصحَّحه على شـــرط مســـلم، ووافقه الذهبي. عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

١٠ ـ «ليُدْرِكَنَّ المسيحُ من هذه الأمة أقوامًا إنَّهم لمثلكم أو خيرٌ ـ ثلاثًا ـ ولن يُخْزِي اللهُ أُمَّة أنا أوَّلُها والمسيحُ آخرها»[(١)].

١١ ـ «بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالسَّنَاء والدِّين، والرِّفْعة والنَّصْر، والتمكين في الأرض»[(٢)].

١٢ ـ «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يكثُرَ المالُ ويَفِيض، حتَّى يُخرج الرجلُ زكاةَ مالِه، فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتَّى تعودَ أرضُ العربِ مُرُوجًا وأنهارًا»[(٣)].

١٣ ـ «لا تقومُ الساعةُ حتَّى تقاتلوا اليهودَ، فيختبئ اليهوديُّ وراءَ الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله ـ أو: يا مسلم ـ هذا يهوديٌّ ورائي فاقتلْه»[(٤)].

١٤ ـ «لو لم يبقَ من الدُّنْيا إلَّا يوم، لطوَّل اللهُ ذلك اليومَ حتَّى يبعث الله فيه رجلًا مِنِّي، يملأ الأرض عدلًا، كما مُلئت ظلمًا وجَورًا»[(٥)].

وبعد هذه الأحاديث كلِّها، لا يستطيع قاعد أنْ يتعلَّل بحديثٍ أو أكثر جاء في مناسبة خاصَّة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٩٦٩٠)، وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦/٧)، والشوكاني في نيل الأوطار (١٦٨/٩)، وقال: ولكنَّه مرسل. عن عبد الرحمٰن بن جبير.

(٢) رواه أحمد (٢١٢٢٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حبان في البر والإحسان (٤٠٥)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣١١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. عن أبي بن كعب.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٥٧) (٦٠)، وأحمد (٩٣٩٥)، عن أبي هريرة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٨٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٣٠)، وقال: حسن صحيح. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

• **مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصحاح:**

كما يجب على الداعية: أنْ يكون واعيًا لحملات التشكيك الَّتي شنَّها خصوم الإسلام، من مبشِّرين ومستشرقين وملحدين على الحديث والسُّنَّة. والَّتي أثَّرت ـ للأسف ـ في بعض مَن ينتمون إلى الإسلام بأسمائهم وأنسابهم بمَن عمل الغزو الفكري عمله في رؤوسهم، حتَّى رأينا منهم مَن يطعن في كرام الصحابة، ومَن يشكِّك في دواوين السُّنَّة الأصليَّة، حتَّى صحيح البخاري نفسه، ومَن يردُّ الأحاديث الصحاح المشهورة اتِّباعًا للهوى، ومَن يفسِّر الأحاديث على مِزاجه هو ليتَّخذ من ذلك وسيلةً للطعن عليها والتشهير بها، ومَن يردِّد شبهات المستشرقين ترديد الببغاوات وهو لا يدري، ومَن يردِّدها وهو يعلم ويدري.

ولقد صادف هذا الغزو التبشيري الاستشراقي فراغًا ثقافيًّا، وتخلُّفًا فكريًّا بالنسبة للإسلام ومصادره وثقافته، فتمكَّن وعشعش وفرَّخ. وتطاول الجهل بعنقه ورأسه ليفرض نفسه على الأحاديث المتَّفق عليها، المتلقَّاة بالقَبول من الأُمَّة، ليَرُدَّها بجرأةٍ وَقِحة.

حتى زعم بعضهم أنَّ حديث: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ**»[1]، وهو من المعلوم في السُّنَّة بالضرورة ـ حيث يحفظه الخاصُّ والعامُّ، والصغير والكبير، والرجل والمرأة ـ زعم هذا أنَّه من وضع المستعمرين (كذا) ولماذا؟ لأنَّه لم يذكر الجهاد!

وردَّ بعض آخر حديث: «**لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود، فيختبئ اليهوديُّ وراء الحَجَر، فيقول الحجر: يا عبدَ الله** ـ أو: يا مسلم ـ **هذا يهوديٌّ ورائي، فتعالَ فاقتُلْه**»، وزعم هذا أنَّ هذا الحديث يخدِّر المسلمين؛ لأنَّه يدفعهم إلى الانتظار حتَّى يتكلَّم الحجر ليدلَّ على

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

اليهود، ونسي هذا أنَّ كلام الحجر ليس بلازم أنْ يكون بلسان المقال، بل ربَّما كان بلسان الحال. ومعناه: أنَّ كلَّ ما في الكون سيكون في صالح المسلمين يومئذٍ، بشرط أنْ يدخل كلٌّ منهم المعركة تحت راية الإسلام والعبوديَّة لله، بحيث يُنادَى: يا عبدَ الله، أو يا مسلمُ!

وردَّ ثالث حديث: إلانة النبيِّ ﷺ القول، وإظهار البشاشة لبعض الجفاة السفهاء، مع قوله فيه قبل أنْ يلقاه: «**بئس أخو العَشِيرَةِ**»[1]. وإنَّما ردَّه لظنِّه أنَّ هذا من المداهنة أو النفاق، ناسيًا أنَّ هناك فرقًا بعيدًا بين المداراة الَّتي لا يستغني عنها حكيم، وبين المداهنة الَّتي لا يلجأ إليها إلَّا منافق أو ضعيف. فالمداراة أنْ تبذل دنياك لمصلحة دِينِكَ، والمداهنة أنْ تبذل دِينَكَ لمصلحة دُنْيَاك.

ومن الكتب الَّتي يُستفاد منها في ردِّ الحملة الاستشراقيَّة التبشيريَّة على السُّنَّة وكشف زيفها، وفضح عوارها.

١ ـ السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي	مصطفى السباعي.
٢ ـ السُّنَّة قبل التدوين	محمد عَجَّاج الخطيب.
٣ ـ الأنوار الكاشفة (في الردِّ على كتاب أبي رَيَّة)	عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني.
٤ ـ الحديث والمُحَدِّثون	محمد أبو زهو.
٥ ـ دفاع عن أبي هُرَيْرة	محمد عَجَّاج الخطيب.
٦ ـ دراسات في الحديث النبوي (باللغة الإنجليزيَّة)	محمد مصطفى الأعظمي.
٧ ـ دفاع عن السُّنَّة	محمد أبو شهبة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٩١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

- **تجنُّب الأحاديث المشكلة على جمهور النَّاس لغير ضرورة:**

أنْ يتجنَّب الأحاديث الَّتي تُشْكِل على جمهور الناس، ولا تسيغها عقولهم وثقافتهم؛ لأنَّ لها تفسيرات وتأويلات قد لا يهضمونها، وربَّما كانت أعلى من مستواهم، أو تغصُّ بها حلوق بعضهم، مثل: حديث الذباب[١]، أو حديث سجود الشمس كلَّ يوم تحت العرش[٢]، أو ما شابه ذلك من الأحاديث.

فليس من فقه الداعية أن يتلوَ على مسامع النَّاس هذه الأحاديث، بغير ضرورة، تقتضيها، ولا مناسبة توجبها. بل الداعية الفقيه: هو الَّذي يعنى بالأحاديث الَّتي لها صلة بواقع الناس، ويتحرَّى البعد عن المتشابهات والمشكلات وما لا تبلغه عقول أوساط الناس.

قال الإمام النووي في «التقريب» وهو يتحدَّث عن آداب المُحَدِّث مع تلاميذه في درس الحديث: «وليتجنَّبْ ما لا تحتملُه عقولُهم وما لا يفهمونه».

وقال الإمام السيوطي في شرحه «التدريب على التقريب»: «كأحاديث الصفات، لما لا يُؤْمَن عليهم من الخطأ والوهم والوقوع في التشبيه والتجسيم»[٣].

---

(١) رواه البخاري في الطب (٥٧٨٢)، عن أبي هريرة بلفظ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء».

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٩)، ومسلم في الإيمان (١٥٩)، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يسَ: ٣٨]».

(٣) مراد السيوطي فيما أحسب ألا تجمع الأحاديث المتفرقة في الصفات، وتكرر على =

QaradawiBooks.com

فقد قال عليٌّ: أتحبُّون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟! حَدِّثوا النَّاس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون[١].

وروى البَيْهَقي في الشُّعَب، عن المِقْدَام بن معديكرب، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حدَّثتم النَّاس عن ربِّهم، فلا تحدِّثوهم بما يغرب أو يشقُّ عليهم**»[٢]. قال ابن مسعود: ما أنت بمُحَدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنةٌ[٣].

قال الخطيب: ويجتنب أيضًا في روايته للعوام أحاديث الرخص[٤]، وما شجر بين الصحابة[٥] والإسرائيليَّات»[٦]. وهذا مع البعد الشاسع بين طلاب الحديث في زمنهم وعموم النَّاس في زمننا.

وقد نختلف مع السيوطي أو الخطيب في بعض ما مثَّل به، ولكن المبدأ مسلَّم في ذاته، وهو انتقاء ما يُحَدِّث به جمهور الناس، فليس كلُّ ما يُعرف يقال، وليس كلُّ ما يُقال لشخص يُقال لغيره، وليس كلُّ ما يُقال في بيئة يصلح أن يُقال في غيرها، وليس كلُّ ما يصلح قوله في زمنٍ

= أسماع عوام الناس بمناسبة وبغير مناسبة؛ فإنَّ الرسول ﷺ لم يقلها مجتمعة، ولم يذكرها إلَّا بمناسبتها.

(١) رواه البخاري في العلم (١٢٧)، موقوفًا.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٣١)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٦٢).

(٣) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٣٢٦)، تحقيق د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٥) المصدر السابق (١٣٥٦).

(٦) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٥٨٠/٢، ٥٨١)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، نشر دار طيبة.

QaradawiBooks.com

يصلح في كلِّ زمن، بل يجب أن يراعي الداعية ـ كما يراعي المفتي بل أولى ـ تغيُّر المكان والزمان والحال.

وحسْبُنا في هذا الحديث الصحيح: «**كفى بالمَرْءِ كذبًا أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمع**»[١]. وجاء عن الإمام مالك أنَّه قال: اعلمْ أنَّه ليس يَسْلَمُ رجلٌ حدَّث بكلِّ ما سمع، ولا يكون إمامًا وهو يُحَدِّث بكلِّ ما سمع[٢].

وروى البخاري، عن أبي هُرَيْرة قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمَّا أحدُهما فبثثتُه فيكم، وأمَّا الآخر فلو بثثتُه قُطِعَ هذا البُلْعُوم[٣]!

وحدَّث النبيُّ ﷺ حديثًا لمعاذ بن جبل وهو رديف له على ظهر حمار، عن حقِّ الله على العباد، وحقِّ العباد على الله. فقال له معاذٌ في آخره: أفلا أبشِّر النَّاس؟! قال: «**لا تبشِّرهم فيتَّكلوا**»[٤]. ولم يخبر معاذ بهذا الحديث إلَّا عند موته، تأثُّمًا. أي تحرُّجًا من كتمان هذا الحديث عن كلِّ الناس، فيموت بموته.

- **الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية:**

كما يجب على الداعية: أن يُحَذِّرَ من الأحاديث الواهية والمنكرة، بل الموضوعة.

وقد حذَّر علماء السُّنَّة من رواية الحديث الموضوع، إلَّا مع التنبيه عليه، وبيان أنَّه موضوع، ليحذر منه قارئه أو سامعه: «تحرم روايته مع

(١) رواه مسلم في المقدمة (١٠/١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٢)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).
(٣) رواه البخاري في العلم (١٢٠)، عن أبي هريرة.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم في الإيمان (٣٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلم بـــه، في أيِّ معنًـــى كان ـ ســـواء الأحكام والقصـــص والترغيب وغيرها ـ إلَّا مُبَيَّنًا، أي مقرونًا ببيان وضْعِه، وذلك لما جاء في الحديث الصحيح الَّذي رواه مسلم، عن سمرة بن جندب مرفوعًا: «**مَن حدَّث عَنِّي بحديثٍ يَرَى أنَّه كذب، فهو أحدُ الكاذبين**»[(١)]»[(٢)].

وقد تخصَّص لهذه الأحاديث من علماء الأُمَّة من كشف عوارها، ووضَّح باطلها، وفضح عورات الوضَّاعين والمُزَيِّفيـــن، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة! فقال: تعيش لها الجهابذة[(٣)].

وقال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي:

«لمَّا لـــم يمكن أحد أنْ يدخـــل في القرآن ما ليس منـــه، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله، ويضعون عليه ما لم يقُل، فأنشأ الله علماء يذبُّون عن النقل، ويوضِّحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله منهم عصرًا مـــن الأعصار. غير أنَّ هذا الضرب قد قـــلَّ في هذا الزمان، فصار أعزَّ من عنقاء مُغْرِب!

وقـــد كانـــوا إذا عُـــدُّوا قليـــلًا فقد صاروا أَعَزَّ مِـــنَ القَلِيلِ[(٤)]»[(٥)]

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (٨/١)، وأحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي في العلم (٢٦٦٢)، وقال: حسن صحيح. عن المغيرة بن شعبة.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٣٢٣/١).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية صـ ٣٦، تحقيق أبو عبد الله الســـورقي، وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

(٤) ينسب إلى زين الدين علي القرشي العتبي، كما في الدر الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٣٧٨/١٠)، تحقيـــق د. كامل ســـلمان الجبوري، نشـــر دار الكتب العلميـــة، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

(٥) الموضوعات لابـــن الجوزي (٣١/١)، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان، نشـــر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

هذا كلام ابن الجوزي، وقد تُوفي في أواخر القرن السادس سنة ٥٩٧هـ، فماذا يقول لو أنَّه عاش حتَّى شاهد عصرنا؟!

على أيَّة حالٍ، لا ريب أنَّ الأحاديث الواهية والموضوعة قد كدَّرت صفاء الثقافة الإسلاميَّة، ودخلت كثيرًا من فروعها، وتسلَّلت إلى كثير من الكتب، في مختلف الفنون من التفسير والتصوُّف والرقائق، حتَّى كتب الفقه والأحكام، وكثير من كتب الحديث نفسها. ومن ثمَّ دخلت على كثير من الدعاة ـ وبخاصَّة ذوو الطابع الشعبي منهم ـ آفة الاستشهاد بهذا النوع من الأحاديث، لما فيها من الغرائب والمبالغات الَّتي تُرضي أذواق العوام، وتستلُّ إعجابهم، وقلَّما أسمع خطيبًا من خطباء الجمع، أو مدرسًا يدرِّس في مسجد، أو محدِّثًا يحدِّث في الإذاعة، إلَّا يروي حديثًا أو أكثر من هذه الأحاديث المردودة. بل كثيرًا ما أقرأ فيما تكتبه بعض المجلَّات، بل فيما تحويه بطون بعض الكتب العصرية، أحاديث تخالف العقول، أو تباين النقول، أو تناقض الأصول، وإذا لم تكن الأحاديث موضوعة، وجدتُها واهية واهنة كبيت العنكبوت.

وكثيرًا ما يستند هؤلاء إلى ما اشتهر من أنَّ الحديث الضعيف تجوز روايته في فضائل الأعمال والقصص والترغيب والترهيب ونحو ذلك.

ونحبُّ أن ننبِّه هنا إلى عدَّة أمور:

الأوَّل: أنَّ هذا الرأي غير متَّفق عليه، فهناك من الأئمَّة المعتبرين من رفض الأخذ بالضعيف في كلِّ مجال، سواء فضائل الأعمال وغيرها. وهو مذهب يحيى بن مَعِين، وجماعة من الأئمَّة، والظاهر أنَّه مذهب البخاري الَّذي دقَّق أبلغ التدقيق في شرائط قَبول الحديث، ومسلم الَّذي شنَّع في مقدمة صحيحه على رواة الأحاديث الضعيفة والمنكرة، وتَركِهم

QaradawiBooks.com

الأخبار الصحيحة. وهو الَّذي مال إليه القاضي أبو بكر ابن العربي رأس المالكية في عصره، وأبو شامة رأس الشافعية في عصره أيضًا، وهو مذهب ابن حزم وغيره.

الثاني: أنَّه إذا وجد في الصحيح والحسن ما يتضمَّن المعنى المراد تعليمه أو التذكير به، فلا معنى للجوء إلى الضعيف والواهي، فقد أغنى الله بالجيِّد عن الرديء، وقلَّما يوجد معنًى دينيٌّ أو خُلُقي أو توجيهي لا يوجد في الصِّحاح والحِسان ما يوفِّيه. ولكن قصور الهمم، وضيق العطن، وأخذ أيِّ شيء يجيء في اليد، دون معاناة البحث والمراجعة، جعل النَّاس يستسهلون رواية الضعيف بإطلاق.

الثالث: أنَّ الحديث الضعيف لا يجوز أن يضاف إلى النبيِّ ﷺ بصيغة الجزم، قال في التقريب وشرحه: «وإذا أردتَ رواية الضعيف بغير إسناد، فلا تقُل: قال رسول الله ﷺ: كذا، وما أشبهه من صيغ الجزم، بل قل: رُوِي عنه كذا، أو بلغنا عنه كذا، أو ورد عنه، أو جاء، أو نُقِل عنه، وما أشبهه من صيغ التمريض، كرَوى بعضهم»[1]. فما اعتاده كثير من الخطباء والوعَّاظ بتصدير الأحاديث الضعيفة بقولهم: قال رسول الله. أمر مردود.

الرابع: أنَّ العلماء الَّذين أجازوا العمل بالضعيف في مثل الترغيب والترهيب، لم يفتحوا الباب على مصراعيه لكلِّ ضعيف، وإنَّما اشترطوا لذلك شروطًا ثلاثة:

١ ـ ألَّا يكونَ الحديثُ شديدَ الضعف.

(١) تدريب الراوي (١/٣٥٠).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ أن يندرج تحتَ أصلٍ شـــرعي معمولٍ به، ثابتٍ بالقرآن أو السُّنَّة الصحيحة.

٣ ـ ألَّا يعتقد عند العمل به ثبوته عن النبيِّ ﷺ، بل يعتقد الاحتياط.

ومن هذا يتبيَّن أنَّ أحدًا من علماء الأُمَّة لم يفتح الباب على مصراعيه لرواية الأحاديث الضعيفة بلا قيد ولا شرط، بل اشترطوا الشروط الثلاثة المذكـــورة، فضلًا عن الشـــرط الأساســـي، وهو: أن يكـــون في فضائل الأعمال ونحوها، ممَّا لا يترتَّب عليه حكم شرعي.

وينبغي في رأيي أن يضاف إلى هذه الشروط شرطان آخران:

١ ـ ألَّا يشتمل على مبالغات وتهويلات يمجُّها العقل، أو الشرع، أو اللغة. وقد نصَّ أئمَّة الحديث أنفســـهم، أنَّ الحديـــث الموضوع يعرف بقرائن في الراوي أو المروي.

فمن القرائن فـــي المرويِّ، بل من جملة دلائـــل الوضْع: أن يكون مخالفًا للعقل، بحيث لا يقبـــل التأويل. ويلحق بـــه: ما يدفعه الحسُّ والمشاهدة. أو يكون منافيًا لدلالة الكتاب القطعيَّة، أو السُّنَّة المتواترة، أو الإجماع القطعي ـ أمَّا المعارضة مع إمـــكان الجمع فلا ـ أو يكون خبرًا عن أمرٍ جسيمٍ تتوفَّر الدواعي على نقله بمحضر الجمع ثمَّ لا ينقله منهم إلَّا واحد!

ومنها: الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الأمر الحقير، وهذا كثير في أحاديث القُصَّاص.

وممَّا يؤســـف له، أنَّ كثيرًا من المحدِّثين لا يطبِّقـــون هذه القواعد عندما يـــروون في الترغيب والترهيب ونحـــوه. وربَّما كان لهم عذر من

QaradawiBooks.com

طبيعة عصرهم. أما عقليَّة عصرنا فلا تقبل المبالغات، ولا تهضمها، وربَّما تتهم الدين ذاته إذا أُلقي عليها مثل هذه الأحاديث.

وممَّا تمجُّه اللغة: كثير من الأحاديث الَّتي رواها بعض القُصَّاص، مثل درَّاج أبي السَّمح في تفسير كلمات من القرآن الكريم لها مدلولاتها الواضحة في اللغة، فروى لها تفسيرات هي غاية في الغرابة والبُعْد عن المدلول اللغوي.

فمن حديث درَّاج، عن أبي الهَيْثم، عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: «**ويلٌ وادٍ في جهنَّم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره**»[(١)]. رواه أحمد والترمذي بنحوه إلَّا أنَّه قال: «**سبعين خريفًا**». مع أنَّ «ويل» كلمة وعيد بالهلاك معروفة قبل الإسلام وبعده.

ومثل ذلك ما جاء عند الطبراني والبَيْهَقي، عن ابن مسعودٍ من تفسير «الغَيِّ» في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، قال: «وادٍ في جهنَّم»، وفي رواية: «نهر في جهنَّم»[(٢)].

وكذلك ما رواه البَيْهَقي وغيره، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]، قال: «وادٍ من قيح ودم»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١١٧١٢) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الزهد (٢٣٨٣) وقال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلَّا من حديث ابن لهيعة. قال ابن كثير في التفسير (٣١٢/١): لم ينفرد به ابن لهيعة، ولكن الآفة ممن بعده، وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعًا منكر.

(٢) رواه الطبراني (٢٧٢/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١٥٧، ١١١٥٨): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلَّا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٢٧/٥)، وعزاه للبيهقي في البعث.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد صـ ٣١١، والبيهقي في البعث والنشور (٤٧٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢١٣٩).

QaradawiBooks.com

وأغرب منه ما رواه ابن أبي الدُّنْيا، عن شُفَيِّ بن ماتع: أنَّ في جهنَّم واديًا يُدعى أثامًا فيه حيَّات وعقارب[١]، إلى آخره. يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقد ذكر هذه الأحاديث الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب».

٢ ـ ألَّا تعارض دليلًا شرعيًّا آخر أقوى منها:

مثال ذلك: الأحاديث الضعيفة الَّتي رُويت في شأن عبد الرحمٰن بن عوف: أنَّه يدخل الجنَّة حبوًا بسبب غناه.

فقد يقال: إنَّ مثل هذه الأحاديث تندرج تحت أصل التحذير من فتنة المال، وطغيان الغنى، ولكن يجب أن نذكر أنَّها تعارض أحاديث صحيحة جعلت عبد الرحمٰن بن عوف من العشرة المبشَّرين بالجنة، فضلًا عن وقائع ثابتة، وروايات مستفيضة، تثبت أنَّه كان من خيار المسلمين، وكبار المُتَّقين، وأنَّه يمثِّل الغنيَّ الشاكر حقًّا، ولهذا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وجعله عمر في الستَّة أصحاب الشورى، وجعل لصوته ميزة ترجيحيَّة على غيره عند تساوي الأصوات.

ولهذا قال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب»: «وقد ورد من غير ما وجه، ومن حديث جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ: أنَّ عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنَّة حبوًا لكثرة ماله[٢]، ولا يسلم

(١) رواه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٧)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢١٤٣).

(٢) رواه أحمد (٢٤٨٤٢)، وقال مخرِّجوه: حديث منكر باطل. والطبراني (١٢٩/١)، والبزار (٦٨٩٩)، وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٤٧): رواه أحمد وفي إسناده عمارة وهو =

QaradawiBooks.com

أجودها من مقال، ولا يبلغ منها شيء بانفراده درجة الحسن. ولقد كان ماله بالصفة الَّتي ذكر رسول الله ﷺ: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح**»[(١)]، فأنَّى تنقص درجاته في الآخرة، أو يقصر به دون غيره من أغنياء هذه الأُمَّة؟ فإنَّه لم يرد هذا في حقِّ غيره، إنَّما صحَّ سبق فقراء هذه الأُمَّة أغنياءها على الإطلاق[(٢)]، والله أعلم»[(٣)].

- **من أين تتسرب الأحاديث الضعيفة إلى الدعاة؟**

وإنَّما تتسرَّب الأحاديث الموضوعة الساقطة إلى الدعاة، لاعتمادهم على كتب لا تُعنى بانتقاء الأحاديث الَّتي توردها وغربلتها، وربَّما لا تعزوها مجرَّد عزو إلى مَن خرَّجها من أصحاب الكتب الحديثيَّة، مع أنَّ هذا العزو لو حصل لا يكفي في معظم الكتب، حيث لا يلتزم مؤلِّفوها الاقتصار على الصحيح أو الحسن.

فترى الأكثرين ينقلون من كتب الوعظ والتصوُّف والتفسير ونحوها، ظانِّين أنَّ هذا يُعفيهم من البحث في درجاتها، والاطمئنان إليها، بأن

= يروي المناكير، وقد قال أحمد: هذا الحديث كذب منكر. قال ابن حجر: لم يتفرد به عمارة بن زاذان فقد رواه البزار من طريق أغلب بن تميم، وأغلب شبيه عمارة بن زاذان في الضعف لكن لم أرَ من اتهمه بالكذب، وقد روي من طريق أخرى فيها متروك. وقال النسائي: الحديث موضوع. عن عائشة.

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه أحمد (٩٨٢٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤١٢٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٢٦)، عن أبي هريرة بلفظ: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة سنة».

(٣) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري (٦٦/٤)، بعد الحديث (٤٨٢٢)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

تكون ـ على الأقلِّ ـ في أدنى درجات القَبول. أمَّا كتب الوعظ والرقائق، فأنصح لقارئها ألَّا يعتمد عليها في نقل الحديث، لأنَّها تجمع السمين والغثَّ، والجديد والرَّثَّ، ولا تدقِّق فيما تروي من أحاديث أو آثار، أو قصص وأخبار، بدعوى أنَّها لا يتعلَّق بها حُكْم شرعي.

حتى حفَّاظ الحديث الناقدون، إذا ألَّفوا في الوعظ وما يتعلَّق به ترخَّصوا وتساهلوا إلى حدِّ التفريط فيما يروونه في بعض الأحيان.

هكذا وجدنا الإمام ابن الجوزي صاحب «الموضوعات» و«العلل المتناهية» وغيرها، يرخي لنفسه العِنَان في كتابه «ذمِّ الهوى»، وغلبت فيه عاطفة الواعظ على عقليَّة الناقد الحافظ. وكذلك الحافظ الذهبي رأيناه يتساهل في كتابه «الكبائر».

ونصيحتي لمَن أراد أن يأخذ الحديث من كتب التفسير: أن يرجع إلى ابن كثير، فهو حافظٌ مُتْقِنٌ ناقد، يُعنى بتخريج ما يورده، والتعقيب عليه ـ غالبًا ـ بالتوثيق أو التضعيف.

ومن أخذ عن «إحياء» الغزالي عليه أن يرجع إلى تخريج الحافظ العراقي لأحاديثه، وهو مطبوع مع الإحياء، ومراجعته ضرورية لكلِّ قارئ للكتاب، أو ناقل عنه بعض ما أورد من حديث. وبذلك يعرف قيمة ما يأخذ من أحاديث.

ومَن أخذ من «الترغيب والترهيب» للمنذري، يجب عليه أن يقرأ مقدِّمته، الَّتي يبيِّن فيها أنواع الأحاديث الَّتي يذكرها، والمصطلحات الَّتي يستخدمها لبيان درجاتها قوَّةً وضعفًا، حتَّى لا ينقل الضعيف الشديد الضعف، وهو يحسب أنَّه حسن أو صحيح، لجهله باصطلاح صاحب الكتاب.

QaradawiBooks.com

ومن أخذ عن «الجامع الصغير» للسيوطي، أنصحه أن يراجع شرحه الكبير «فيض القدير» أو المختصر «التيسير» للمناوي، ولا يكتفي بإشارات الجامع: (ص) للصحيح، و(ح) للحسن، و(ض) للضعيف، لكثرة ما أصابها من التحريف على يد النسَّاخ أو الطابعين، ولأنَّ للشارح تعقيبات واستدراكات على صاحب الجامع ينبغي أن يُنتفع بها. وقد قام العلَّامة الشيخ مُحَمَّد ناصر الألباني بفصل صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) عن ضعيفه، وصدر كلٌّ منهما في عدَّة أجزاء، فخدم بذلك الكتاب وطالبي الحديث أيَّما خدمة.

ومن كتب السُّنَّة الَّتي ينبغي الاستفادة منها في هذا المقام، ما أُلف لتخريج أحاديث بعض الكتب المشهورة في فنونها، ممَّن لا يلتزم أصحابها تخريج ما يروونه، سواء أكانت كتب تفسير مثل «تخريج أحاديث الكشاف» للحافظ ابن حجر، أو كتب تصوف مثل «تخريج أحاديث الإحياء» للحافظ العراقي، أو كتب فقه مثل «تخريج أحاديث الهداية» للحافظ الزيلعي، وأحاديث «الاختيار» للعلامة قاسم، وأحاديث شرح الرافعي الكبير لابن حجر المسمَّى «التلخيص الحبير».

ومن كتب السُّنَّة المهمَّة: ما يتعلَّق بالأحاديث الشائعة المشتهرة على ألسن النَّاس وبيان مَن أخرجها، ودرجتها من الصحة أو الحسن أو الضعف أو الوضع، مثل «المقاصد الحسنة» للسخاوي، و«تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة النَّاس من الحديث» لابن الدَّيْبع الشَّيْباني، و«كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس» للعجلوني، وهو أجمعها وأوفاها، وهو مرتَّب على حروف المعجم.

QaradawiBooks.com

ومن الكتب الَّتي لا يُستغنى عنها: كتب «الموضوعات» أي الأحاديث المختلقة المفتراة على رسولِ الله ﷺ: مثل «الموضوعات» لابن الجوزي، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي، و«تحذير الخواصِّ من أكاذيب القُصَّاص» له، و«المنار المُنِيف في الصحيح والضعيف» لابن القيِّم، و«الموضوعات الكبرى» للشيخ علي القَارِي، و«الموضوعات الصغرى» له أيضًا، وهو المُسَمَّى «المصنوع في معرفة الموضوع»، و«تنزيه الشريعة المرفوعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعة» لابن عرَّاق، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشَّوْكاني، و«الأسرار المرفوعة» للَّكْنَوي، و«الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأُمَّة» للألباني.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفقــه

ولا بدَّ للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهيَّة، بحيث يعرف أهمَّ الأحكام الشــرعيَّة في العبادات والمعاملات والآداب، وما لم يعرفه أو يستحضره يكون قادرًا على مراجعة حكمه في مصادره ومظانِّه الموثَّقة. وذلك مهمٌّ للداعية من عدَّة نواح:

أوَّلًا: ليســتطيع أن يجيب الســائلين عن الحلال والحرام وشــؤون العبادة والأسرة ونحوها، ممَّا يُكثر النَّاس السؤال عنه ويلجؤون عادةً إلى الدعاة يلتمســون منهم الفتوى في ذلك، فمَن لم يكن متضلِّعًا من الفقه سكت أو تهرَّب، وفي ذلك إضعاف لموقفه وتأثيره، أو أفتى بغير علم، وهذه هي الطامة. كما في حديث الصحيحين، عن ابن عمرو مرفوعًا: «**إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يبقَ عالم اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جُهَّالًا، فسئلوا فأفتَوا بغير عِلْم، فضلُّوا وأضلُّوا**»[(١)].

ثانيًا: ليمكنــه تصحيح ما يقابله من أخطــاء، وتقويم ما يواجهه من انحرافات، في ضوء الأحكام الشرعيَّة، فإذا رأى بعض البدع الفاشية، أو المنكرات الســائدة، أو الأخطاء الدِّينيَّة الشــائعة، واجههــا بعلم وفقه،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم.

QaradawiBooks.com

لا بمجرَّد غضب وعاطفة. ومعنى هـذا: أنَّه لا ينكر أمرًا مجتَهدًا فيه بين الأئمَّة، إذ لا إنكار في المسائل الاجتهاديَّة، إلَّا في حدود معيَّنة. وكذلك ينبغي ألَّا يُنْكِر المنكـر إذا ترتَّب عليه منكر أكبر منـه. وقد حكى ابن القيِّم، عن شـيخ الإسـلام ابن تيمية، أنَّه مرَّ على قوم من التتار جلسوا يشـربون الخمر، فأنكر عليهم بعض أصحابه، فقال: دعهم وما هم فيه، فإنَّ الله إنَّما حرَّم الخمر، لأنَّها تصدُّ عن ذكـر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدُّهم الخمر عن سفك الدماء، ونهب الأموال[1]!

كما ينبغـي أن يقدِّم الأهـم على المهـم، والكلِّي علـى الجزئي، والفرض على النافلة.

ثالثًـا: ليعمل على تطعيم عظاته ودروسـه بالأحـكام المهمَّة، الَّتي يحتاج إليها النَّاس في وقتها، فإذا تحدَّث مثـلًا عن الزكاة أو الصيام أو الحجِّ وغيرها، لـم يقتصر حديثه على محـض الترغيب والترهيب، بل يحرص على إعطاء سامعه أو قارئه خلاصة الأحكام الأساسيَّة لكلٍّ منها بأسـلوبٍ سـهلٍ قريبٍ مقبول. وبذلك يسـتنير الناس، ويتعرَّفون على أحكام دينهم بيسـر وسـهولة؛ فالداعية الناجح هو الَّـذي يعظ النَّاس ويفقِّههم، بحيـث لا يطغى وعظه علـى فقهه، ولا فقهـه على وعظه، ونوصي الداعية هنا بعدَّة أمور:

١ ـ أن يحـرص على ربـط الأحـكام بأدلَّتها من الكتاب والسُّـنَّة، وما أرشـد إليه من اعتبارات أخرى. كالإجماع والقياس والاسـتصلاح والاستحسان، وغيرها من أدلَّة ما لا نصَّ فيه. ويعرِّفون الفقه بأنَّه: معرفة

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١٣/٣)، تحقيق محمد عبد السـلام، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

الأحكام الشرعيَّة المأخوذة من أدلَّتها التفصيليَّة. فلا فقه بلا دليل. على أنَّ الدليل يكسو الحكم أو الفتوى نورًا وجمالًا. ويمكنه هنا الانتفاع بكتب فقه الحديث، مثل: «الإحكام» لابن دقيق العيد، و«نيل الأوطار» للشوكاني، و«سبل السلام» للصنعاني، و«الروضة النَّدِيَّة» لصديق حسن خان، وكتب الشيخَيْن ابن تيمية وابن القيِّم وغيرها. ومثل ذلك: كتب الفقه الَّتي تُعنى بالتدليل والترجيح ومناقشة الآخرين مثل: «المغني» لابن قُدامة الحنبلي، و«المجموع» للنووي الشافعي، و«الاستذكار» لابن عبد البَرِّ المالكي، و«المحلى» لابن حزم الظاهري، و«الرَّوْض النَّضِير» للسيَّاغي الزَّيْدي.

٢ ـ وإذا كان الداعية ملتزمًا بمذهب من المذاهب الفقهيَّة المتبوعة، فلا يمنعه هذا من التعرُّف على أدلَّة مذهبه ليطمئنَّ قلبه، ولا مانع من ترك المذهب في بعض المسائل الَّتي يشعر بضعف أدلَّتها إلى مذهبٍ يرى أنَّه أسعد بالدليل من مذهبه، وقد رُوي عن الأئمَّة المتبوعين جميعًا قولهم: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي.

ولا يجوز للداعية أنْ يَدَع السُّنَّة الصحيحة الصريحة بحجَّة تقيُّده بمذهبه، كما رأينا بعض خطباء الجمعة على المنابر يأمرون الداخل إلى المسجد بالجلوس، إذا أراد هو صلاة ركعتين تحيَّة للمسجد. هذا مع ما جاء في الحديث الَّذي رواه مسلم في صحيحه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء سُلَيكٌ الغَطَفَاني يومَ الجمعة ورسولُ الله ﷺ قاعد على المنبر، فقعد سُلَيكٌ قبل أن يُصَلِّي. فقال له النبيُّ ﷺ: «**أركعتَ رَكْعَتَيْن؟**». قال: لا. قال: «**قمْ فاركَعْهما**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٨٧٥)، واللفظ له، كلاهما في الجمعة.

QaradawiBooks.com

٣ ـ ويحسن بالداعية أن يتعرَّف على المذاهب الأخرى، وبخاصَّة الَّتي يتَّبعها بعض مَن يدعوهم، فإن كان مالكيًّا وهو في بيئة حنبليَّة، أو كان حنبليًّا أو شافعيًّا وهو في بيئة حنفيَّة، أو العكس، فينبغي له أنْ يُلِمَّ بأهم ما يتميَّز به مذهب البلد عن مذهبه، حتَّى لا ينكر على النَّاس ما لا يجوز أن يُنكَر.

فالشافعي المحصور في مذهبه، إذا حلَّ في بيئة مالكيَّة، قد يستغرب من أهلها أنَّهم لا يتطهَّرون من بول وروث ما يؤكل لحمه، أو يرسلون أيديهم في الصلاة، أو نحو ذلك، فلا يتكلَّم في ذلك إلَّا وهو عالمٌ بمذهب القوم ومأخذه من الاستدلال.

ومثل ذلك الحنفي الَّذي يحلُّ في بلد شافعيٍّ أو حنبلي: فيجد النَّاس يرفعون أيديهم عند الركوع، وعند الاعتدال منه، أو يجدهم يقرؤون الفاتحة خلف الإمام، ويرفعون أصواتهم بالتأمين، ولا يُسَلِّمون إلَّا بعد أن يَفْرُغ الإمام من تسليمتيه إلخ، فقد يبادر إلى إنكار ما عليه القوم، وهو لا يعلم أنَّ هذا هو مذهبهم الَّذي يتعبَّدون على أساسه.

وأنصح الداعية أن يقرأ ـ على الأقلِّ ـ كتابًا في الفقه المقارن، مثل «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد.

٤ ـ ينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسُّنَّة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامَّة للإسلام، حتَّى تقع من النفس موقع القَبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحِكَم والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أنَّ الأصل فيها التعبُّد والامتثال لأمر الله تعالى، كقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]،

QaradawiBooks.com

وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وفي الحجِّ: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

فإذا كان هذا في الأمور التعبُّدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟

فهذا مطلوب في كلِّ حين لكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنَّما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعِلل، ورحم الله امرأً عرَف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون.

- **محذورات ينبغي التنبُّه لها:**

وأودُّ أن أنبِّه هنا في مقام تعليل الأحكام إلى بعض المحذورات، الَّتي يتورَّط فيها بعض الدعاة. فمن هذه المحذورات:

- **المبالغة في تعليل العبادات:**

المبالغة في تعليل العبادات بأمور دنيويَّة، وربطها بها ربط العِلَّة بالمعلول، مع الغفلة عن حقيقة كبيرة يجب التنبيه عليها، وهي أنَّ العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد، لا طلب الأدوات والوسائل، فهي مرادة لذاتها، بغضِّ النظر عمَّا وراءها من منافع وثمرات. بل هي الغاية من خلق المكلَّفين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. بل المقصود الأوَّل من خلق هذا العالم كلِّه، علويِّه وسفليِّه: أن يعرف النَّاس ربَّهم، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، كما قال

QaradawiBooks.com

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

والمبالغة في هذا الجانب قد تؤدِّي ببعض النَّاس إلى أن يقول: إذا كان هدف العبادات تربية الضمائر، وتزكية الأنفس، وتقويم الأخلاق. فعندنا وسائل أخرى توصِّلنا إلى هذا الهدف. وقد يقول بعض آخر ما زعمه بعض الفلاسفة من قبل ممَّن زعموا أنَّ العبادات إنَّما يحتاج إليها العامَّة. أمَّا الخاصَّة ـ يعنون أهل الفلسفة ـ فهم مستغنُون عنها، لارتقاء أنفسهم بالمعرفة والوصول إلى الحقائق ـ وعندهم أنَّ كمال النَّفْس في مجرَّد العلم بالمعقولات! ـ فلم تعد أنفسهم أنفسًا بهيميَّة أو سَبُعيَّة، بل أنفسًا مَلَكِيَّة، بخلاف أنفُس العوامِّ أو الجماهير الَّتي تغلب عليها الحيوانيَّة أو السَّبُعيَّة، فهي الَّتي تحتاج إلى العبادات لتتهذَّب وتتزكَّى.

ودخل في ذلك طائفة من ضُلَّال المتصوِّفة، ظنُّوا أنَّ غاية العبادات هو حصول المعرفة، فإذا حصلت سقطت العبادات، وهو خطأ وضلال بإجماع المسلمين، فإنَّ العبادات المفروضة لا تسقط عن أحدٍ، وإنْ بلغ ما بلغ، ما دام عقله حاضرًا. وهذا ممَّا عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام[1].

- **التعليل بأمرٍ غير جامعٍ ولا مانع:**

ومن المحذورات: أن يعلَّل الحكم الشرعي بأمر غير جامعٍ؛ بمعنى أنَّه لا ينطبق على كلِّ الحالات، ولا مانع؛ بمعنى أن ينطبق على غير المعلَّل ممَّا لم يأخذ حكمه.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/٢٧٠، ٢٧١)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

مثال ذلك: تعليل تحريم لحم الخنزير بأنَّه يأكل القاذورات، فقد يُرَدُّ رادٌّ بأنَّ هذا لا ينطبق إلَّا على الخنازير السيِّئة التغذية، أمَّا الخنازير الَّتي تربَّى في حظائر خاصَّة، ويشرف عليها مختصُّون يعنون بأمرها، فلا يتَّفق معها هذا التعليل.

وكذلك إذا قال قائل: إنَّما حُرِّم الخنزير؛ لأنَّ اعتياد أكلِه يورث فقدان الغَيرَة على النساء والحرمات، كما هو مشاهد لدى الأوربيِّين الَّذين يدينون بالمسيحيَّة؛ فهذا التعليل قد يُنقض بأنَّ ذلك قد يكون مردُّه للبيئة والتربية أكثر من ردِّه إلى لحم الخنزير، بدليل أنَّ النصارى في صعيد مصر وفي البلاد الشرقيَّة عامَّة لا تنقصهم الغَيْرَة.

كما أنَّ اليهود في الغرب، وهم يحرِّمون الخنزير، يسلكون في أمر الغَيْرَة ما يسلكه مواطنوهم من المسيحيِّين.

ونحو ذلك: أن تجعل علَّة التحريم ما اكتشف من ديدان شديدة الخطر على صحَّة الإنسان، كالدودة الشريطيَّة أو الوحيدة. فقد قالوا: إنَّ هذه الديدان توجد في لحوم الأبقار أيضًا، وقد أحلَّ الشرع أكلها!

ولهذا لا تجوز للداعية المجازفة بالتعليل في مثل هذه الأمور، ما لم يكن تعليلًا ثابتًا محكمًا مطَّردًا في كلِّ الأحوال، تقوم عليه الأدلَّة العِلميَّة الناصعة، الَّتي لا مطعن فيها.

وإلَّا فحسْب الداعية أن يقول: إنَّ الله لم يُحِلَّ إلَّا طيِّبًا، ولم يحرِّم إلَّا خبيثًا، ولم يشرع شيئًا إلَّا لحكمة، علمها مَن علمها، وجهلها مَن جهلها، وعدم العلم بها لا ينفي وجودها، فإنَّ عِلمنا أعجز من أن يحيط بكلِّ حكمة الله تعالى في شرعه أو في خلقه.

QaradawiBooks.com

وإذا كان العلم البشري بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من نزول القرآن قد اكتشف في لحم الخنزير ديدانًا خطرة لم يكن يعلم أحد بها يوم قال القرآن في لحم الخنزير: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. فما يدرينا ماذا سيكشفه العلم في الغد القريب أو البعيد؟

على أنَّ هناك حكمة جليلة في إخفاء الله تعالى بعض حِكَمه وأسرار شرعه وخلقه عنَّا نحن المكلَّفين، وذلك ليتمَّ الابتلاء، وتظهر حقيقة العبوديَّة للخالق، ويعرَف مَن يتَّبع الرسول ممَّن ينقلب على عقبيه، ويتبيَّن مَن يطيع ربَّه، ومَن لا يطيع إلَّا عقله، فهنا مفرق طريق بين المؤمن وغير المؤمن.

والمؤمن يقول إذا ثبت الأمر أو النهي من ربِّه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَهِمَ الحكمة الجزئيَّة في هذا الأمر أم لم يفهم، أدرك السرَّ أم لم يدرك. حسْبه أن يؤمن أنَّ الله لا يأمره إلَّا بما ينفعه، ولا ينهاه إلَّا عما يضرُّه، ولو كان لا يمتثل لأمر إلَّا لما يدرك عقله تفاصيل الحكمة فيه، لكان حينئذٍ مطيعًا لعقله لا لربِّه.

أمَّا غير المؤمن، فلا يُستبعَد منه أن يأتيه الأمر فيقول: سمعنا وعصينا. وذلك لأنَّه لم يلتزم بحقيقة العبوديَّة لله، والطاعة لرسوله، وإنَّما يقف من ربِّه موقف الندِّ للندِّ.

فعلى الداعية أن يتنبَّه لهذا الجانب من عِلل الأحكام، ولا يذكر منه إلَّا ما كان جامعًا ومانعًا، وقام عليه البرهان، وإلَّا عرَّض نفسه للاعتراضات من هذا وذاك، ومن هنا وهناك.

وقد وقف أحد الدعاة يتحدَّث عن جريمة الزنى، وهي إحدى الكبائر في الإسلام، فحصر حكمة التحريم في منع اختلاط الأنساب.

QaradawiBooks.com

وهنا قام له مَن يقول: لا حرج إذن على الحامل أن تزني، ولا حرج على المرأة العقيم، ولا على مَن تتناول أقراص منع الحمل، إذ لا خوف على واحدة من هؤلاء أن تحمل وتلد، حتَّى يحدث اختلاط الأنساب. بل المرأة الأيِّم ـ الَّتي لا زوج لها بكرًا أو ثيِّبًا ـ إذا اتَّخذت خدنًا لها لا يباشرها غيره، فإنَّها إذا حملت منه يكون نسب حملها معروفًا غير مختلط ولا مجهول.

ومن هنا كان الحذر واجبًا في إلقاء هذا النوع من الحكم والتعليلات. فلا تُقال للناس إلَّا بعد دراسة وتثبُّت، وإلَّا اكتفى بالحكم الإجماليَّة العامَّة، اقتداءً بالقرآن في مثل قوله في تعليل النهي عن الزنى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومثل ذلك القول بأنَّ الربا إنَّما حُرِّم؛ لأنَّه استغلال لحاجة الفقراء لمصلحة الأغنياء.

فهذا التعليل إنَّما ينطبق على صورة معيَّنة من الربا، عرَفها النَّاس في كثير من الأزمان، ولا يزالون يعرفونها إلى اليوم، وهي صورة الإنسان الضعيف الَّذي تنزل به حاجة لنفسه أو لأسرته، فلا يستطيع سدَّها إلَّا بالاستقراض والاستدانة، ولا يجد مَن يقرضه إلَّا المُرابي الغني، الَّذي يشترط عليه أن يعيد العشرة أحد عشر أو اثني عشر أو أقلَّ أو أكثر.

وهذه صورة محدودة تكاد تنقرض.

ويكاد يكون الَّذين يستقرضون الآن من المصارف وبيوت المال هم الأغنياء وكبار التجار، الَّذين يريدون أن يوسِّعوا تجاراتهم، أو يزيدوا من ثرواتهم، يستقرضون مئات الألوف بل الملايين، لبناء العمارات الشاهقة، أو استيراد السلع المربحة.

QaradawiBooks.com

وقد يودع بعض النَّاس من محدودي الدخل شيئًا ممَّا يدَّخرونه بعد نفقاتهم لدى المصارف (البنوك) فتعطيهم مقابل ذلك فوائد محدَّدة (٥٪) أو أقل أو أكثر. فآخذ الفائدة ـ وبعبـارة أخرى: آكل الربا ـ هنا هو الفرد الضعيف، ومعطي الفائدة ـ ومـؤكل الربا ـ هو المصرف (البنك) القوي الغني المتمكِّن.

وهذا ما جعل بعض المشـتغلين بالفقه في عصرنا ـ الَّذين حصروا حكمة التحريم فيما أشـرنا إليه ـ يجترئون على القول بـأنَّ الفوائد في عصرنا ليسـت هي الربا الحرام؛ لأنَّها في الصورة المذكورة: اسـتفادة للفقراء مـن الأغنياء أصحاب البنوك. ولهـذا كان لا بدَّ من تعليل آخر، وتوجيه آخر. وأوجه التعليل هنا كثيرة تراجع في مظانِّها[1].

- **الاقتصار على التعليلات المادِّيَّة:**

من المحـذورات في ذكر الحِكَـم والعلل: الاقتصـار على التعليل بالأمور المادِّيَّة الحِسِّـيَّة، وخصوصًا فيما يتعلَّق بالعبادات الشـعائريَّة؛ كالوضوء والصلاة والصيام والحجِّ ونحوها.

فالوضوء في نظر بعـض الَّذين يتحدَّثون عن الإسـلام أو يكتبون: حكمته النظافـة، والصلاة في نظر هؤلاء: حكمتها تمرين الجسـم على الرياضة والحركة واتباع النظـام، والصيام في نظرهم: إنَّما فرض لإراحة المعدة شهرًا في كلِّ عامٍ.

(١) يراجع في ذلك على سـبيل المثال ما كتبه: دكتور محمد عبد الله دراز، ومحمد أبو زهرة، وسـيد قطب، وأبو الأعلى المودودي، ودكتور عيسـى عبده، ودكتور محمود أبو السعود، رحمهم الله، وغيرهم من الكتاب المسلمين.

QaradawiBooks.com

والحجُّ في نظرهم ليس إلَّا رحلة كشفيَّة، للتدريب على احتمال المشاقِّ.

وجهل هؤلاء أنَّ مثل هذه التعليلات تفتح عليهم أبوابًا لا يقدرون على إغلاقها، فقد يقول لهم قائل: إنَّني أستطيع أن أحقِّق النظافة بغير الوضوء.

وقد يقول ثانٍ: أستطيع أن أمرِّن جسمي رياضيًّا بغير الصلاة، بالتمرينات المنظَّمة المدروسة، يشرف عليها مدرِّبون فنيُّون.

ويقول ثالث: إنَّني قادر على إراحة المعدة بغير الصيام.

ويقول رابع: إنَّني أستطيع أن أقوم برحلات كشفيَّة أتدرَّب فيها على المشقَّات، ولكن بغير الحج إلى بيتٍ معلومٍ في زمن معلوم.

وهكذا تكون هذه التعليلات ـ إذا لم تُصَغ صياغة دقيقة حكيمة موزونة ـ سلاحًا في أيدي الَّذين يريدون أن يتفلَّتوا من تكاليف الدِّين وشعائره.

وأولى بنا أن ننهج نهج القرآن في إعطاء الأوليَّة والأولويَّة للتعليل بالأمور الدِّينيَّة الرُّوحيَّة.

ففي الصلاة يقول:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، أي أنَّ اشتمال الصلاة على ذكر الله أكبر وأعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

QaradawiBooks.com

وفي الصيام يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فجعل التقوى هي الغاية أو الثمرة من الصيام.

وفي الزكاة يقول:

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٣، ١٠٤]، فحكمة الزكاة هنا ـ وهي فريضة ماليَّة ـ حكمة نفسيَّة رُوحيَّة: تطهير وتزكية، ودعاء وسكينة، وقَبول من الله الَّذي يأخذ بيمينه الصدقات.

وفي الحجِّ يقول:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۞ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، والمنافع المشهودة المذكورة في الآية الكريمة أوسع وأعمق من أن تقتصر على الجانب المادي وحده. كيف وقد جاء في الحديث: «**إنَّما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله**»[1].

وفي الهدي والذبائح يقول:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [الحج: ٣٧].

(١) رواه أحمد (٢٤٤٦٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في المناسك (١٨٨٨)، والترمذي في الحج (٩٠٢)، وقال: حسن صحيح. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وأكثر من ذلك نجد القرآن الكريم حين يعلِّل للنواهي الَّتي نهى الله عنها ـ وكثير منها يتعلَّق بنواهٍ اجتماعيَّة واقتصاديَّة ـ لا يُعنى إلَّا بإبراز الجانب الديني الَّذي يشمل كلَّ الأحوال، ويعمُّ كلَّ الأشخاص، في كلِّ الأوقات، وكلِّ البيئات.

وذلك مثل قوله في النهي عن الخمر إنَّها: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

ثم يذكر تعليلًا آخر فيقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١].

فلم يهتمَّ بذكر أضرارها على الجسم والعقل، وإن كان ذلك معروفًا غير منكور، حتَّى لا يقول قائل: إنَّما أشربها بقدر، أو بعد استشارة الطبيب أو نحو ذلك.

وقوله تعالى في تعليل النهي عن التبذير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وفي تعليل النهي عن قتل الأولاد: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وفي تعليل النهي عن قربان الزنى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وفي تحريم الاستسقام بالأزلام: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

وفي تحريم أكل أموال اليتامى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

وينبغي أن يكون هذا هو منهج الداعية في تعليل الأوامر والنواهي، إذا كان خطابه مع المؤمنين بالإسلام، فحسبه أن يشير إلى أنَّ فعل هذا

QaradawiBooks.com

الأمر يجلب رضا الله ومثوبته، وأنَّ اجتناب ذاك يجلب سخط الله وعقوبته. ولهذا يكتفي القرآن هنا بأنْ يقول للمؤمن: إنَّه رجس، أو فسق، أو خطأ، أو حوب كبير، أو فاحشة، أو سبيل سوء[1].

- **علم أصول الفقه:**

ولا بدَّ للداعية أن يلمَّ بعلم أصول الفقه حتَّى يعرف الأدلَّة المتَّفق عليها بين فقهاء الأمة وهي الكتاب والسُّنَّة، والَّتي اتَّفق عليها جمهورهم وهي: الإجماع والقياس، والَّتي اختلفوا فيها بعد ذلك بين مثبتٍ ونافٍ، ومضيِّق وموسِّع ومتوسط، وهي أدلَّة ما لا نصَّ فيه، من الاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب، وشرع مَن قبلنا، وقول الصحابي، وما إلى ذلك ممَّا تفرَّقت فيه وجهات النظر.

وإذا كان الكتاب والسُّنَّة هما الأصلين والمصدرين الأساسيَّين، فكيف تُستنبط منهما الأحكام؟ ومَن يجوز له الاستنباط أو يجب عليه؟ ومَن يحلُّ له التقليد أو يحرم عليه؟

هنا نجد مسائل كثيرة، بعضها اتَّفقوا عليه، وبعضها اختلفوا فيه، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]. ولا بدَّ للداعية أن يعرف الراجح والمرجوح؛ ليأخذ بالراجح، ويعذر الآخذين بالمرجوح، أو يقنعهم إذا استطاع.

وليس من الضروري للداعية أن يقرأ المطوَّلات في الأصول، فهذا شأن المتخصِّص. وحسبه أن يقرأ ما يعطيه فكرة ملائمة مثل «جنة الناظر» لابن قدامة، أو «إرشاد الفحول» للشوكاني وهو أوسع، أو كتابًا حديثًا مثل

(١) وقد فصلت هذا النهج في كتابي: نحو فقه ميسر معاصر، وسرت عليه في كتبي: فقه الطهارة، وفقه الصيام، وغيرهما.

QaradawiBooks.com

«أصول الفقه» للخضري، أو «علم أصول الفقه» لخلَّاف وهو كتاب جيد مفهوم. ويحسن بالداعية تتمَّة لهذا أن يعرف نبذة عن تاريخ الفقه الإسلامي ونشأة المذاهب وتطوُّرها. وغلبة الجمود والتقليد على الاجتهاد والاستنباط في الأعصر الأخيرة، ويكفي في هذا «تاريخ التشريع الإسلامي» للخضري، أو «خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي» لخلَّاف.

- **علم العقيدة:**

ولا نريد بدراسة العقيدة، منظومات المتأخرين في علم التوحيد وشروحها، مثل: «الجوهرة»، أو «الخريدة» ونحوهما، ولا دراسة «العقائد النَّسَفِيَّة» وما يتبعها من شروحٍ وحواشٍ، ولا دراسة المطوَّلات الكلاميَّة مثل: «شرح المقاصد»، أو «شرح المواقف» وما شابههما، فلم يعُد كثير من مباحث هذه الكتب يحتاج إليه العقل المعاصر أو يستسيغه، ولم يَعُدْ يكفي للردِّ على شبهات الفلسفة الحديثة، وما تثيره من مشكلات فِكْريَّة. لهذا يجب توفير الجهد الذهني الضخم الَّذي يُبذل في هضم هذه الكتب، وحلِّ ألغازها، وفكِّ طلاسمها، لما هو أجدى في الدفاع عن العقيدة وتثبيتها.

هذا بالإضافة إلى أنَّ المباحث الكلاميَّة ـ على عمقها وتعب الذهن في فَهمها واستيعابها ـ لا تُكَوِّن عقيدة، كلُّ مُهِمَّتِها الدفاع عن عقيدةٍ تكوَّنت بالفعل، وردِّ الشبهات عنها. وأكثر من ذلك أنَّ مباحث علم الكلام قد تأثَّرت بالتفكير اليوناني، والأسلوب اليوناني في معالجة شؤون العقيدة.

ولهذا هاجم أئمَّة السلف علم الكلام وأهله، وشدَّدوا الحملة عليه. لهذا نريد من دراسة العقيدة، مراعاة ما يلي:

QaradawiBooks.com

١ ـ أن يكـــون كتـــاب الله تعالـــى، وما يبيِّنه من صحيح السُّـــنَّة، هو المصدر الفذُّ للعقيدة المنشودة، بعيدًا عن الشوائب والزوائد والفضول، الَّتي لحقت بهـــا على مرِّ العصـــور، وبهذا تبقى العقيـــدة على صفائها ووضوحها وبساطتها، ولا نجعل آراء مدرســـة معيَّنة أصلًا يُحمل القرآن عليه، وتجرُّ الآيات لتأييده.

٢ ـ أن نتَّبع منهج القرآن في مخاطبة العقـــل والقلب معًا، من أجل تكوين الإيمان الصحيح، فبناء العقيـــدة على العقل وحده كما هو اتجاه الفلاســـفة، أو على القلب وحده كمـــا هو اتِّجاه الصوفيَّـــة، لا يتَّفق مع شـــمول المنهج الإســـلامي، الَّذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل، وانفعال القلب، وصدق الإرادة.

٣ ـ الاهتمـــام بأدلَّة القـــرآن الَّتي ذكرهـــا لإثبات معتقداتـــه، وإقناع مَدْعُوِّيه، والردِّ على خصومه، وتفنيد ما يثيرونه من شـــبهات ومفتريات. مثل: أدلَّة القرآن على وجود الله الَّتي أشار إليها، مثل ابن رشد في «مناهج الأدلة»، والعقاد في «الله»، والجسر في «قصة الإيمان»، وغيرهم. وكذلك أدلَّته على التوحيد، وعلى البعث وعلى نبوَّة مُحَمَّد ﷺ. وكلُّها أدلَّة عقليَّة برهانية صريحة، وليست خطابيَّة أو إقناعيَّة كما وهم بعض المتكلِّمين.

٤ ـ صرف الهِمَّة إلى مشـــكلات العقل المعاصر، والاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى مثل: وجـــود الله تعالى، توحيده، النبوة، الحياة الأخرى، القَدَر. أما المشكلات التَّاريخيَّة مثل: خلق القرآن، أو الصفات وعلاقتها بالذات: هل هي عين أم غير، أم لا عين ولا غير؟ إلخ. فينبغي أن تُدرَس كتاريخ للفكر الإســـلامي، ولا ننفق فيها من الوقت والجهد ما نحن في حاجة إليه لمواجهة معضلات زماننا.

QaradawiBooks.com

٥ ـ الاستفادة من ثقافة العصر، وخصوصًا في ميادين العلوم البحتة، كالفلك والطب والفيزياء وغيرها، لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها. كما فعل ذلك كثير من المؤلِّفين في زماننا من الأجانب والمسلمين، مثل صاحب «العلم يدعو إلى الإيمان»، وأصحاب «الله يتجلَّى في عصر العلم»، وصاحب «قصَّة الإيمان»، ومؤلف «الله والعلم الحديث»، و«الإسلام يتحدَّى»، وغيرها.

٦ ـ أن نتبنَّى طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، من غير تكييفٍ ولا تمثيل، ولا تحريفٍ ولا تعطيل. وهي الطريقة الَّتي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم، مثل: أبي الحسن الأشعري في «الإبانة»، والغزالي في «إلجام العوامِّ عن علم الكلام»، والفخر الرازي في «أقسام اللذات»، حيث يقول فيه: «لقد تأمَّلتُ المناهج الفلسفيَّة، والطرق الكلاميَّة، فلم أرها تشفي عَلِيلًا أو تَنْقَع غَليلًا. ورأيتُ خير الطرق طريقة القرآن: اقرأْ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]. ومن جرَّب مثل تجربتي، عرَف مثل معرفتي»[(١)].

٧ ـ أن نتتبَّع شبهات المبشِّرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم، والرد عليها ردًّا علميًّا فكريًّا بلسان العصر.

(١) جزء من وصيته لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني، ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٠١/٢١)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

• **التصوُّف:**

التصوُّف: هو العلم الَّذي يبحث في الجانب الأخلاقي والعاطفي من الثقافة الإسلاميَّة.

ولا ينكر الدارسون أنَّ التصوُّف قد أثَّرت فيه ـ إلى حدٍّ ما ـ عوامل أجنبيَّة: مسيحيَّة أو هنديَّة أو فارسيَّة أو يونانيَّة، إلى جوار العوامل الإسلاميَّة أيضًا، وأنَّه قد دخلت فيه ـ على مرِّ الأزمان ـ أفكار غريبة من شتَّى المصادر المذكورة أو غيرها. حتَّى انتهى بعض أنواع التصوُّف إلى القول بالحلول أو الاتِّحاد أو وحدة الوجود[1]، وكان لبعضهم كلام عن «قدم النور المحمدي»، أو ما يسمُّونه «الحقيقة المحمدية»، وكلام عن الولاية والأولياء، وعن الكشف والمواجيد والأذواق وتحكيمها في النصوص الدِّينيَّة، وتفرقتهم بين الحقيقة والشريعة، وتربية المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميِّت بين يدي الغاسل، وغلوِّهم في الزهد وما يتعلَّق به إلى حدٍّ يخرج عن وسطيَّة الإسلام إلى رهبانيَّة النصارى.

لهذا ولغيره، وقف كثير من الحريصين على التمسُّك بالسُّنَّة موقف الريبة بل الخصومة، من التصوُّف وتراثه ورجاله، وأعلن بعضهم حربًا على التصوُّف كلِّه، قديمه وحديثه، سنيِّه وبدعيِّه، وحمَّله أوزار كلِّ الانحرافات الفِكْريَّة والسلوكية الَّتي ابتُلي بها المسلمون في القرون الأخيرة. وبالتالي دعا إلى نبذ هذا التراث وهجره، خشية ما يتخلَّله من مفاهيم لا تتلاءم مع الإسلام. والَّذي نريد أن نؤكِّد عليه هنا:

(١) انظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي للأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازاني صـ ١٨٥ وما بعدها، فصل: التصوف الفلسفي، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

أولًا: أنَّ التصوُّف الفلسفي كلُّه مرفوض من أساسه، وإذا درسناه فإنَّما ندرسه لنردَّ عليه، ونبيِّن فساده، ومنافاته للإسلام. ونريد بالتصوُّف الفلسفي: القائم على فكرة «الحلول» و«وَحدة الوجود».

ثانيًا: أنَّ الَّذي يعنينا من التصوُّف هو الجانب الأخلاقي والتربوي، وهو الَّذي قال فيه ابن القيِّم في «المدارج»: «اجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أنَّ التصوُّف هو الخُلُق»[(١)]. وعبَّر عنه الكتَّاني بقوله: «التصوُّف خُلُق، فمَن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في التصوُّف»[(٢)].

ثالثًا: أنَّنا يجب أن ننتقي من التصوُّف ما يخدم العقيدة الإسلاميَّة، والأخلاق الإسلاميَّة. وندع كلَّ ما فيه شائبة أو ريبة، وننتفع في ذلك بمَن نقد الصوفيَّة مثل ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» وغيره.

كما نرى أنَّ من الإنصاف أن نبيِّن أنَّ في التراث الصوفي ـ على ما فيه من مآخذ ـ فوائد لا تُنكر منها:

١ ـ أنَّه يجمع كثيرًا من أقوال الصالحين، وحِكَم الزهَّاد والعبَّاد وأهل التقوى والبصيرة.

٢ ـ أنَّ فيه لفتات رُوحيَّة مشرقة في فَهم الآيات والأحاديث والتعليق عليها لا توجد عند غيرهم.

٣ ـ أنَّ الصوفيَّة، حين عُنِيَ الفقهاءُ بأحكام الظاهر المُحَسِّ، والمتكلِّمون بالجانب العقلي الجاف: عُنُوا هم بأحكام الباطن، ودراسة

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣٠١/٢)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) الرسالة القشيرية (٣٩٧/٢)، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

آفات النفوس، ومداخل الشيطان إليها، وكيفيَّة وقايتها وعلاجها. ولهم في ذلك من الممارسات والتجارب والمعارف، ما ليس لطائفة غيرهم.

٤ ـ أنَّ في أقوالهم حرارة وحيويَّة يلمسها قارئها، ولعلَّ ذلك نتيجة المجاهدة النفسيَّة، والرياضة الرُّوحيَّة الَّتي يعانونها، وليست النائحة كالثكلى.

٥ ـ أنَّ الصوفيَّة الأوائل الَّذين وضعوا أسس التصوُّف ومَهَّدوا طريقه، رفضوا كلَّ محاولة لإخراجه عن الشرع، وأبَوا إلَّا تقييده بالقرآن والسُّنَّة.

قال سيِّد الطائفة (الجُنَيْد): مَن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ عِلْمَنا مقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبُنا مقيَّد بأصول الكتاب والسُّنَّة. وكذلك جاء عن أبي حفصٍ والدَّاراني وابن أبي الحواري والسَّرِيِّ السَّقَطِي وغيرهم، كما نقله عنهم القُشَيْري وغيره[1].

٦ ـ أنَّ من أئمَّة الدعوة السلفيَّة مَن تكلم في التصوُّف وألَّف فيه، وردَّ على باطله، وأشاد بما فيه من حقٍّ، كما يتَّضح ذلك في رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، مثل «العبوديَّة» و«التحفة العراقيَّة في الأعمال القلبيَّة» ورسالة «الفقراء» وغيرها من الفتاوى والرسائل والبحوث، الَّتي ظهرت في مجلدين من مجموع فتاويه، أحدهما تحت عنوان: «التصوُّف»، والثاني تحت عنوان: «السلوك». وكذلك مؤلفات تلميذه المحقِّق العلامة ابن القيِّم في ذلك، وهي كثيرة منها: «طريق الهِجْرَتَيْن»، و«عُدَّة

(١) انظر: مدارج السالكين (٤١/٢)، وما بعدها.

QaradawiBooks.com

الصابرين»، و«ذخيرة الشاكرين»، و«الداء والدواء»، وأعظمها «مدارج السالكين شرح منازل السائرين» في ثلاثة مجلَّدات، وفيه وزن علوم القوم بميزان الكتاب والسُّنَّة.

- **النظام الإسلامي:**

ومن أهمِّ ما ينبغي للداعية أن يدرسه دراسة وعي وهضم: النظام الإسلامي، أو نظام الإسلام، أو المذهبيَّة الإسلاميَّة، أو فلسفة الإسلام.

ونعني بهذا دراسة الإسلام خالصًا غير مشوب، متكاملًا غير مجزَّأ، الإسلام باعتباره مذهبًا متميِّزًا، ونظامًا كاملًا للحياة: الحياة الفردية، والحياة الاجتماعيَّة، والحياة المادِّيَّة، والحياة المعنويَّة. ولا يغني عن هذه الدراسة للإسلام المتكامل دراسة العلوم الإسلاميَّة من التفسير والحديث والفقه والتوحيد ونحوها؛ لأنَّها لا تعطي نظرة عامَّة للإسلام كلِّه، وإنَّما تعطي نظرات متفرِّقة لجوانب منه، كلٌّ على حدة، دون إحكام الربط بينها، وأنَّ الخطر على فَهم الإسلام فَهمًا صحيحًا يتمثَّل في عدَّة أمور يجب التحرُّز منها:

١ ـ أن يُزاد عليه، ويلصق به ما ليس منه من رواسب الديانات السابقة، وثنيَّة ومحرَّفة. وشوائب النِّحَل والمذاهب، شرقيَّة وغربيَّة. وذلك بعد أن أكمله الله للأُمَّة، وأتمَّ عليها به النعمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والكامل لا يقبل الزيادة كما لا يقبل النقص. ولهذا شدَّد الرسول ﷺ التحذير من الإحداث والابتداع في الدين.

٢ ـ أن ينقص منه ما هو من أجزائه وصُلب كيانه، أو يؤخذ بعضه دون بعض، كما فعل بنو إسرائيل بدينهم، آمنوا ببعض الكتاب وكفروا

QaradawiBooks.com

ببعض. وفي عصرنا قامت محاولات لتجزئة الإسلام، أو إهدار بعض تعاليمه، كالَّذين يريدون الإسلام عقيدةً بغير شريعة، أو دينًا بلا دولة، أو صلاةً بدون زكاة، أو سلامًا بلا جهاد، أو زواجًا بلا طلاق، إلخ. والإسلام وَحْدة لا تقبل التجزئة والتفكيك، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

٣ ـ أن تشوَّه تعاليمه في العقيدة، أو العبادة، أو الأخلاق، أو التشريع، فتُعرض على غير حقيقتها ممسوخة محرَّفة، بفعل الجهل أو الهوى، كما شوِّهت فكرة القضاء والقدر في العقيدة، أو فكرة الحجِّ في العبادة، أو فكرة الزهد في الأخلاق، أو فكرة الطلاق وتعدُّد الزوجات وضرب الزوجة الناشز في نظام الأسرة، أو فكرة الجهاد في نظام الدولة، وفكرة الحدود في نظام العقوبات.

٤ ـ أن يختلَّ التوازن بين قِيَمه وتعاليمه، فيُعطَى بعضها دون حقِّه، ويأخذ بعضها الآخر أكثر من حقِّه، ويقدَّم ما يستحقُّ التأخير، ويؤخَّر ما يستحقُّ التقديم. مع أنَّ الإسلام قد أعطى كلَّ عمل من الأعمال، وكلَّ واحد من تعاليمه قيمةً و«سِعْرًا» خاصًّا، فلا توضع الفروع موضع الأصول، ولا تحتلُّ النوافل مكان الفرائض، ولا تُقدَّم أعمال الجوارح على أعمال القلوب، ولا تؤثِّر القُربات الفردية القاصرة على العبادات الاجتماعيَّة المتعدِّية، بل يوضع كلُّ شيء في مرتبته الشرعيَّة دون غلوٍّ ولا تقصير، وإلَّا اضطربت المعايير، وقُدِّم ما حقُّه التأخير.

ومن هنا ينبغي عند دراسة النظام الإسلامي أو الكتابة تفادي هذه الأخطار الأربعة: من الزيادة فيه، أو النقص منه، أو التشويه له، أو

QaradawiBooks.com

الإخلال بتوازنه. وينبغي إذن أن يدرس النظام الإسلامي، وإن شئتَ قلتَ: يدرس الإسلام على هذه الصورة:

(أ) خالصًا مصفًّى من الشوائب والفضول والزيادات الَّتي ألصقت به على مرِّ العصور. ويجب العودة إلى نقاء الإسلام الأوَّل: إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الصحابة وتابعيهم بإحسان، قبل أن تظهر الفِرَق، وتطرأ البدع، وتتفاقم الفتن.

(ب) شاملًا متكاملًا، غير مبتور، ولا مجزَّأ، ولا محذوف منه، بعقائده وتصوراته، بشعائره وعباداته، بأخلاقه وآدابه، بنُظمه وتشريعاته: الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والمدنية والجنائية، مع وجوب الربط بينها، وشدِّها جميعًا إلى أصل أصولها، وأساس بنائها، وهو توحيد الله تعالى.

(ج) سليمًا كاملًا، مبرَّأً من تشويه المشوِّهين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصليَّة للإسلام، مع العناية بتوثيق الدليل، وحسن التعليل، والاهتمام بإبراز خصائص الإسلام: ربانيَّته، إنسانيَّته، شموليَّته، وسطيَّته، واقعيَّته، إلخ.

(د) متوازنًا متَّسِقًا، واضح التقاسيم، محدَّد المفاهيم، مرتَّب التعاليم، بحيث يُقدَّم فيه الأهم على المهم، والمهم على غير المهم. وتوضع مبادئه وأحكامه في مراتبها الشرعيَّة: العقيدة قبل العمل، والعبادة قبل المعاملة، والفرائض قبل النوافل، والكبائر قبل الصغائر، والأركان قبل غيرها.

وينبغي أن يُستفاد من كتابات المعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي في أنحاء العالم الإسلامي، وذلك في المجالات الأساسيَّة للنظام الإسلامي، ونرشِّح لذلك بعض الكتب على سبيل المثال لا الحصر. وإن كان كلُّ بشر يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا المعصوم ﷺ.

QaradawiBooks.com

أولًا: في مجال العقيدة والأسس الفِكْريَّة:

١ ـ مبادئ الإسلام	أبو الأعلى المودودي.
٢ ـ العقائد الإسلاميَّة	حسن البنَّا.
٣ ـ خصائص التصور الإسلامي	سيِّد قطب.
٤ ـ قصَّة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن	نديم الجسر.
٥ ـ نظام الإسلام: العقيدة والعبادة	محمد المبارك.
٦ ـ الإسلام يتحدَّى	وحيد الدين خان.
٧ ـ الله ﷻ	سعيد حوَّى.
٨ ـ الرسول ﷺ	سعيد حوَّى.
٩ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه	عبَّاس العقَّاد.
١٠ ـ عقيدة المسلم	محمَّد الغزالي.
١١ ـ الإيمان والحياة	يوسف القرضاوي.

ثانيًا: في مجال العبادة والشعائر:

١ ـ الأركان الأربعة	أبو الحسن الندوي.
٢ ـ العبادة في الإسلام	يوسف القرضاوي.

ثالثًا: في مجال الأخلاق:

١ ـ ربَّانيَّة لا رهبانيَّة	أبو الحسن الندوي.
٢ ـ خُلُق المسلم	محمد الغزالي.
٣ ـ دستور الأخلاق في القرآن	محمد عبد الله دراز.

غير مرخصة للطباع
نسخة محتبة

رابعًا: في مجال التشريع والنظام الاجتماعي:

١ ـ العدالة الاجتماعيَّة في الإسلام	سيِّد قطب.
٢ ـ خطوط رئيسيَّة في الاقتصاد الإسلامي	محمود أبو السعود.
٣ ـ منهاج الإسلام في الحكم	محمد أسد.
٤ ـ نظام الاقتصاد	محمد المبارك.
٥ ـ الحكم والدولة	محمد المبارك.
٦ ـ الاقتصاد الإسلامي (مدخل ومنهاج)	عيسى عبده إبراهيم.
٧ ـ الفكر الإسلامي المعاصر (الحكم والمجتمع)	محمد البَهِيّ.
٨ ـ الفكر الإسلامي المعاصر (الأسرة والتكافل)	محمد البَهِيّ.
٩ ـ الإسلام والأوضاع الاقتصاديَّة	محمد الغزالي.
١٠ ـ الإسلام المفترى عليه	محمد الغزالي.
١١ ـ اشتراكيَّة الإسلام	مصطفى السباعي.
١٢ ـ الثروة في ظل الإسلام	البهي الخولي.
١٣ ـ فقه الزكاة	يوسف القرضاوي.
١٤ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام	يوسف القرضاوي.
١٥ ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي	يوسف القرضاوي.
١٦ ـ التشريع الجنائي الإسلامي	عبد القادر عودة.
١٧ ـ الإسلام عقيدة وشريعة	محمود شلتوت.
١٨ ـ أحكام الذميِّين والمستأمنين في شريعة الإسلام	عبد الكريم زيدان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩ ـ الفرد والدولة في شريعة الإسلام	عبد الكريم زيدان.
٢٠ ـ المجتمع الإنساني في ظل الإسلام	محمد أبو زهرة.
٢١ ـ نظام الحكم في الإسلام	محمد عبد الله العربي.
٢٢ ـ نظريَّة الإسلام وهديه في السياسة والدستور	أبو الأعلى المودودي.
٢٣ ـ الربا والاقتصاد الإسلامي	أبو الأعلى المودودي.
٢٤ ـ الحجاب	أبو الأعلى المودودي.
٢٥ ـ مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي	حسن البنَّا
٢٦ ـ الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة	البهي الخولي.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثقافة التَّاريخيَّة

ومن الثقافة اللازمة لمَن نصَّب نفسه للدعوة: الثقافة التَّاريخيَّة.

فالتاريخ هو ذاكرة البشريَّة، وسِجِلُّ أحداثها، وديوان عِبَرها، والشاهد العدل لها أو عليها.

ويهمُّنا في ذلك تاريخ الإسلام والأُمَّة الإسلاميَّة خاصَّة، وتاريخ الإنسانيَّة بصفةٍ عامَّة، أعني المواقف الحاسمة منه، والملامح الرئيسيَّة فيه؛ لأنَّه لا يُتصوَّر أن يدرس الإنسان تاريخ البشر كافَّة، ولو كان متخصِّصًا، فكيف بغير المتخصِّص! وإنَّما يحتاج الداعية إلى التاريخ لأمور:

١ ـ أنَّه يوسِّع آفاقه، ويُطلعه على أحوال الأمم، وتاريخ الرجال، وتقلُّبات الأيام بها وبهم، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جَور: كيف ترقى الأمم وتهبط؟ وكيف تقوم الدول وتسقط؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون؟ وكيف تنام الشعوب وتصحو؟ يقول القرآن: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ أنَّ التاريخ أصدقُ شاهدٍ على ما يدعو إليه الدِّين من قِيَم ومفاهيم؛ فهو مرآةٌ مصقولة تتجلَّى فيها عاقبة الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لنعمة الله، وعقوبة الكافرين بها، وكيف يجني مَن يغرس الخير، ويحصد مَن يزرع الشَّوْك. ولهذا عُني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين؛ لما فيها من عِبَر بليغة، وعظات حيَّة. كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قَ: ٣٦، ٣٧].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

وكثيرًا ما يعقِّب على نهاية الأمم تعقيبات تبرز ما وراءها من دروس، مثل قوله بعد قصَّة ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٢، ٥٣].

وقوله بعد قصَّة سبأ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وقوله بعد قصَّة موسى وفرعون: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعاني والقِيَم الَّتي يدعو إليها بأحداث التاريخ، ومواقف الأبطال، وغير الأبطال؛ فهذا أعون على تثبيتها في العقول والقلوب، فإنَّ الكلمات قد تُنسى، ولكنَّ الوقائع قلَّما تنسى.

QaradawiBooks.com

٣ ـ أنَّ التاريخ كثيرًا ما يعين على فَهم الواقع الماثل، ولا سيَّما إذا تماثلت الظروف، وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديمًا يقولون: ما أشبه الليلةَ بالبارحة! وجعل الغربيِّين يقولون: التاريخ يعيد نفسه. بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى وحدة التصرُّفات أو تشابه الأقوال عند تشابه البواعث، وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم الآيات الكونيَّة من رسول الله، كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨]، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

وقال في سورة أخرى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۞ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، أي أنَّهم اتَّحدوا في الاستكبار والطغيان، فاتَّحد ما صدر عنهم من زُورٍ وبُهتان. وأكثر من ذلك أنَّ بعض القضايا الحاضرة لها جذورها التَّاريخيَّة البعيدة الأغوار، فمَن لم يعرف أغوار ماضيها لم يدرك أسرار حاضرها؛ فالصدام بين الإسلام والمسيحيَّة في هذا العصر لا يُعرف حقَّ المعرفة ما لم يُعرف صراع الحروب الصليبيَّة، وما دفع إليها من بواعث، وما صحبها من دمار، وما خلَّفته من آثار، وما أسفرت عنه من نتائج. بل لا يُعرف إلَّا من بداية الصراع منذ موقعة اليرموك وفتوح الشام ومصر وإفريقيَّة في عهد الراشدين، بل منذ معركة مؤتة وغزوة تبوك في عهد النبيِّ ﷺ.

٤ ـ أنَّ بعض جوانب التاريخ لها صلة وثيقة بعمل الداعية واهتماماته، وأعني الجانب العقلي أو الفكري في التاريخ، مثل: تاريخ الأديان، نشأتها وتطوُّرها، وأهمِّ الشخصيات والوقائع المؤثِّرة في سيرها، وما آلت إليه في النهاية، ومثل ذلك: تاريخ النِّحَل والفِرَق، تاريخ الفلسفات والمدارس الفِكْريَّة، تاريخ الحضارات الكبرى، ولا سيَّما الجانب الثقافي منها.

QaradawiBooks.com

- **تنبيهات للدعاة في المجال التاريخي:**

وأودُّ أن ينتبه الداعية الَّذي يطالــع التاريخ، ويقتبس منه إلى الأمور الآتية:

(أ) ألَّا يجعــل أكبرَ همِّه وَعْــيَ جزئيَّات التاريــخ وتفصيلاته، فهذه لا يمكن أن تُحصر، ولو أمكن أن تُحصر لكانت فائدة الداعية منها جدُّ قليلة. إنَّما المهمُّ رؤوس العِبَرِ، ومواقع العَظَمة في التاريخ.

وبعبــارة أخرى: المهمُّ هــو المغزى الأخلاقي للتاريــخ واتجاهات الأحداث فيه، وحصادها الناطق المعبِّر بلسان الحال.

(ب) أن يكون ذا وعيٍ يَقِظ للوقائع التَّاريخيَّة الَّتي تخدم موضوعه، وتعمِّق فكرته، وتقدِّم لها الشواهد الحيَّة، وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع في كتب التاريخ المتخصَّصة، بل كثيرًا ما يلتقطها بحسِّه الواعي من مصادر قد لا يلتفت إليها كثيرًا رجال التاريخ؛ فقد يلتقطها من القرآن فيما قصَّه علينا بالحقِّ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار، وخصوصًا فيما يتعلَّق بعصر الراشدين والقرون الأولى، وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل الخراج والأموال، وقد يلتقطها من كتب الأدب، أو كتب الحِسْــبة، أو كتب الرحلات، أو كتب الفتاوى وغيرها.

(ج) أن يعنى بســير الرجــال، ومواقف الأبطــال، وبخاصَّة العلماء والدعاة، والصالحون. وفي تاريخنا ثروة من الســير تتمثَّل فيها الأســوة الحسنة، والقدوة الصالحة، وتُبرز الشخصيَّة المسلمة مجسَّدة في مواقف وأعمال، كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم، سواء ما كان منها عامًّا كـ «وَفَيَات الأعيان»، و«الوافي بالوَفَيَات»، وما كان منها خاصًّا بفئة

QaradawiBooks.com

معيَّنة كرجال الحديث مثلًا، كما تجد ذلك في «طبقات ابن سعد»، و«تهذيب التهذيب» أو الزهاد والصالحين مثل: «حلية الأولياء»، و«صفة الصفوة»، أو الفقهاء مثلًا، كالمجتهدين من الأئمَّة أو أتباع مذهب معيَّن مثل: طبقات الحنفيَّة أو الشافعيَّة أو غيرهم من علماء المذاهب المتبوعة. وهكذا طبقات الأطباء والحكماء واللغويِّين والنحاة، إلخ.

فالَّذي نركِّز عليه هنا: أنَّ التاريخ ليس للملوك ولا لرجال السياسة وحدهم، فكم من أفراد وفئات أخرى تُسهم في صنع التاريخ، وتترك «بصماتها» في حياة النَّاس أكثر من السلاطين والأمراء والزعماء السياسيِّين.

وقد نجد حياة هؤلاء الطافين على سطح التاريخ فقيرة أو مقفرة من القدوة، على حين نجد حياة الآخرين خصبة وثريَّة من المُثُل العليا، والمعاني الطيِّبة، وهذا ما لم يغفله تاريخنا الإسلامي والحمد لله.

(د) أن يهتمَّ بربط الحوادث والوقائع ـ خصوصًا في تاريخنا الإسلامي ـ بأسبابها وعللها المعنويَّة والأخلاقيَّة؛ فالذي يطالع تاريخنا بدقَّة، ويتأمل سيره بعمق، يجد أنَّ المدَّ والجزر، والامتداد والانكماش، والنصر والهزيمة، والازدهار والذُّبول، والغنى والفقر، كلُّها ترتبط بمقدار صلة الأُمَّة بالإسلام أو انفصالها عنه، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها، وحسْبُنا أنْ نلقي نظرة عجلى إلى عصر الراشدين، أو عصر عمر بن عبد العزيز، أو عصر الرشيد، أو نور الدين، أو صلاح الدين، لترى تمسُّكًا بالدين، أو رجعة إليه، ونرى ثمارها عزًّا وازدهارًا. والعكس بالعكس في عصورٍ أو فتراتٍ أخرى.

(هـ) أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه، دعوة ورسالة، وأثره في تربية الأجيال، وتكوين الأمة المسلمة، وإقامة الدولة

QaradawiBooks.com

الإســلاميَّة، وبناء الحضارة الإسلاميَّة، والثقافة الإســلاميَّة، وتأثيره في العالم كلِّه، وقدرته على الانتشــار عند القــوة، والمقاومة عند الضعف، واســتطاعته التأثير في غالبيه ليعتنقوه عن رضــا واختيار ـ كما فعل مع الســلاجقة والتتار ـ واختزانه كل العناصر والطاقات اللازمة لإمداد أمته برُوح الجهاد لإثبات الذات أو لاستعادتها.

وهنا يجب أن نركِّز على عدَّة حقائق تاريخية قد يغفلها مُغْفِلون عمدًا أو سهوًا:

١ ـ يجب إبراز الجاهليَّــة العالميَّة والعربيَّة ـ الَّتــي كان يتردَّى فيها العالم عامَّة والعرب خاصَّة ـ على حقيقتها بلا إفراطٍ ولا تفريط.

ذلك أنَّ النزعات التبشيريَّة والاستشراقيَّة تريد أن تُلبس هذه الجاهليَّة لبوسًا حسنًا، مضخِّمة ما كان لها من حســنات، متغاضية عما عجَّت به من مثالب. وقد طرب لذلك القوميون، وخصوصًا من العرب، فحرصوا على عرض الجاهليَّة العربيَّة مبرَّأة من كلِّ عيب، وإذا عرضوا الشيء من عيوبها مسُّوه برفق. كما يبدو ذلك في دراسة التاريخ والأدب وما سمِّي «المجتمع العربي» وغير ذلك، متجاهلين ما كانوا عليه من فساد العقائد والأخلاق والأنظمة والتقاليد. وصــدق الله حين قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ورضي الله عن عمر الَّذي قال: إنَّما تنقض عُرا الإسلام عُروةً عُروةً، إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهليَّة[1]. وذلك لأنَّه لا يعرف مقدار

(١) مدارج السالكين (٣٥١/١).

QaradawiBooks.com

ما قدَّمه الإسلام من هداية وإصلاح، وهذا بشرط ألَّا يمسَّ ذلك ما تميَّزت به أُمَّة العرب، ولغة العرب، وأرض العرب من خصائص رشَّحتها لاحتضان الرسالة العامَّة الخالدة: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٢ ـ ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام، وبرجال التجديد الَّذين يبعثهم الله بين حين وآخر في هذه الأمة ليجدِّدوا لها دينها، أيًّا كان لون هؤلاء الرجال واتجاههم، فقد يكون منهم الخلفاء كعمر بن عبد العزيز، أو السلاطين والأمراء كنور الدين وصلاح الدين، أو الفقهاء والدعاة كالشافعي والغزالي وابن تيمية وابن عبد الوهاب، وقد يكون المجدِّد فردًا، وقد يكون جماعة أو مدرسة إصلاحية يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائصه.

٣ ـ كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير الَّتي ظهرت في العالم الإسلامي ـ على تباعد أطرافه ـ منذ وَطِئَته جيوش الاستعمار؛ فرغم المكر الصليبي، ومحاولات التخدير والتضليل، وذرِّ الرماد في عيون المسلمين، لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كلِّ بلد دخله وأُريقت الدماء، وسقط الشهداء تلو الشهداء، ولم تزل المقاومة على مرِّ الزمان حتَّى كان التحرير. وكان الإسلام وعلماؤه ودعاته، وراء هذا الجهاد للاستعمار، بريطانيًّا كان أو فرنسيًّا أو إيطاليًّا أو إسبانيًّا أو غير ذلك. وقد شهد بذلك مؤرِّخون غربيُّون مثل برنارد لويس[1] وغيره.

(١) في كتابه الغرب والشرق الأوسط صـ ١٤٨، ١٤٨، ١٦٨، ترجمة د. نبيل صبحي، لاجوس، ١٩٦٣م.

QaradawiBooks.com

- **تحذيرات للدعاة في المجال التاريخي:**

وأضيف إلى التنبيهات السابقة للدعاة في مجال الثقافة التَّاريخيَّة، تحذيرات يجب على الداعية ألَّا يغفل عنها:

أولًا: ليس كلُّ ما تحويه كتب التاريخ صحيحًا مائة في المائة، فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذِّبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلَّة الناصعة في مصادر أخرى. وكم لعبت الأهواء والعصبيات السياسيَّة والدِّينيَّة والمذهبية دورها في كتابة التاريخ، وفي رواية وقائعه وتلوين أحداثه، وتصوير أبطاله إيجابًا أو سلبًا، وخصوصًا إذا علمنا أنَّ ـ التاريخ يكتبه ـ عادة المنتصرون الغالبون ـ والغلبة لها بريق وأضواء، كثيرًا ما تعشي أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين، في حين تضخِّم أخطاء المغلوبين، وتطمس فضائلهم، عن قصد أو غفلة.

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الَّذي يتعلَّق بأمثل عصور وأفضلها، وهو تاريخ العصور الأولى الَّتي انتشر فيها الإسلام في الآفاق، وانتشرت معه لغته وفقهه، واتَّسع فيها تعلُّم كتابه وسُنَّة نبيه، وهو تاريخ عصر الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، وهم الَّذين أثنى عليهم الله ورسوله، وهم الَّذين حفظوا القرآن والحديث وبلَّغوهما إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم، إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظُلِم وشوِّه في كتب التاريخ أي ظلم وتشويه. ثمَّ يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعُجَرها وبُجَرها، ويقولون: نحن لم نجِد عن الطريقة العِلميَّة، فمصدرُنا الواقدي أو الطبري أو ابن الأثير، إلخ، جزء كذا، صفحة كذا، طبعة كذا.

هكذا يصنع المستشرقون، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في

QaradawiBooks.com

الجامعات، وهكذا يسير الَّذين يكتبون عن التاريخ في المجلَّات، وفي غير المجلَّات.

ولم يكلِّف هؤلاء أنفسهم أن يدرسوا كيف كُتب تاريخ تلك العصور.

لنأخذ أهم هذه المصادر القديمة وأشهرها وهو: «تاريخ الطبري».

لقد كانت الفكرة المهيمنة على الطبري عند كتابة تاريخه هي التجميع والتسجيل، دون الانتقاء أو التمحيص للأسانيد أو الوقائع المرويَّة؛ فمَن كان عنده خبرٌ ذو بالٍ نقله عنه ودوَّنه منسوبًا إليه، وإن كان راوي الخبر من الضعفاء أو المتَّهمين أو المتروكين، وإنَّما دفعه إلى ذلك حبُّ الاستقصاء، والخوف من أن يفوته بإهماله شيءٌ من العلم، ولو من بعض النواحي. ويمثِّل العلَّامة السيِّد محبُّ الدين الخطيبُ الإمامَ الطبريَّ ومَن في طبقته من العلماء في إيرادهم الأخبار الضعيفة برجال النيابة في عصرنا، إذا أرادوا أن يبحثوا في قضيَّة؛ فإنَّهم يجمعون كلَّ ما تصل إليه أيديهم من الأدلَّة والشواهد المتَّصلة بها، مع علمهم بتفاهةِ بعضِها أو ضعفه، اعتمادًا منهم على أنَّ كلَّ شيءٍ سيقدَّر بقدره[1]. هذا عذر الطبري وأمثاله في روايته عن المجروحين. وله عذران آخران:

أوَّلهما: أنَّه يروي الحوادث بسندها إلى مَن رواها، ويرى أنَّه إذا ذكر السند فقد برئ من العُهْدة، ووضعها على عاتق رواته. وقد قيل: مَن أسند فقد حمَّل. أي حمَّلك البحث في سنده، وكان هذا مقبولًا في زمنه حيث يستطيع العلماء أن يعرفوا رجال السند، ويحكموا لهم أو عليهم.

(١) مقالة المراجع الأولى في تاريخنا لمحب الدين الخطيب، مجلة الأزهر، مجلد (٢٤)، عدد صفر، سنة ١٣٧٢هـ.

QaradawiBooks.com

ومن هنا قال الطبري في مُقدِّمة تاريخه:

«فما كان في كتابي هذا ممَّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنَّه لم يعرف له وجهًا في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنَّه لم يؤتَ ذلك من قبلنا، وإنَّما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنَّما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»[1].

وبهذا حمَّل رواته التبعة، وحمَّل بالتالي دارس كتابه أن يفتِّش عنهم في كتب الرجال، ومصادر الجرح والتعديل، وسيجد حينئذٍ عددًا منهم ساقطًا بالمرَّة، وعددًا آخر مختلفًا في توثيقه وتضعيفه، وعددًا آخر من الثقات المقبولين.

فمن رجال الطبري: مُحَمَّد بن إسحاق صاحب السيرة، قال فيه الإمام مالك وغيره ما قالوا، ومَن وثَّقه لا يقبل كلَّ ما يرويه، وكثيرًا ما كان الرواة عنه أضعف منه وأوهن.

والواقدي كذَّبه جماعة من أئمَّة الحديث، ومَن قبله لم يقبله بإطلاق.

وهشام بن مُحَمَّد الكلبي وأبوه، وهما مُتَّهمان بالكذب.

وسَيْف بن عمر التَّمِيمي، كان يضع الحديث، ويروي الموضوعات عن الأثبات، اتُّهم بالزندقة، ضعَّفه غير واحد.

وأبو مِخنَف لُوطُ بن يَحْيى الأَزْدِي، قال فيه الحافظ الذهبي: أخباريٌّ تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره. وقال ابن مَعِين: ليس بثقة، وقال مرَّة: ليس بشيء. وقال ابنُ عَدِيٍّ: شيعيٌّ محترق، صاحب أخبارهم!

(١) تاريخ الطبري (٨/١).

QaradawiBooks.com

وغير هؤلاء كثيرون، من المجروحين المتروكين عند أئمَّة الجرح والتعديل من علماء الحديث، وإن كان رجال التاريخ والأخبار يروون عنهم، ويستندون إليهم.

ومن أجل هذا لا يقيم المحقِّقون وزنًا لروايات (الأخباريِّين) ولا يعتمدون عليها، ويعيبون مَن ينقل عنها في كتب العلم المعتبرة.

ولهذا نجد الإمام النووي يقول في كتاب «الاستيعاب» لفقيه المغرب ومحدِّثه الإمام ابن عبد البرِّ النَّمَري: «إنَّه من أحسن الكتب المؤلَّفة في الصحابة وأكثرها فوائد، لولا ما شانه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكايته عن الأخباريِّين».

قال السُّيُوطي معقِّبًا: «والغالب عليهم الإكثار والتخليط فيما يروونه»[١].

والعذر الثاني للطبري في عدم تمحيص ما رواه في تاريخه: أنَّ الموضوع لا يترتَّب عليه حكم شرعي من تحليل أو تحريم أو إيجاب أو غير ذلك، ممَّا يتعلَّق به علم الفقه. كما أنَّه لا يتَّصل ببيان كلام الله أو كلام رسوله، كما في علم التفسير، أو علم الحديث. ولا غرو أن وجدنا الطبري ـ الَّذي كان إمامًا جليل القدر في التفسير والحديث والفقه حتَّى كان له مذهب متبوع مدَّة من الزمن ـ يدقِّق ويحقِّق فيما يتَّصل بهذه العلوم المذكورة، ولكنَّه يترخَّص ويتساهل في أمر التاريخ، قائلًا في تسويغ ذلك «إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج»[٢].

(١) انظر التدريب على التقريب (٦٦٥/٢)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، نشر دار طيبة.

(٢) تاريخ الطبري (٧/١).

QaradawiBooks.com

وغفر اللهُ للإمـــام الطبري؛ فإنَّ هذا التســـاهل قد شـــوَّه تاريخ فجر الإسلام، وأساء إلى حملة رسالته الأوَّلين، وفتح باب الاعتذار نفسه لمَن بعده، فأخذوا عنه كما أخذ عمَّن قبله، وأدَّوا إلى مَن بعدهم، كما أدَّى هو إليهم، وكما أدَّى إليه مَن قبله. ومن ثمَّ نرى أنَّ ابن الأَثِير وأبا الفداء ابن كثير وغيرهم، يعتمدون على الطبري، ثمَّ جاء المعاصرون والمستشرقون فاعتمدوا على هؤلاء، واعتبروا ذلك علمًا وتحقيقًا.

ولا غرو أنْ قام فقيـــه كبير، وإمام جليل، هـــو القاضي أبو بكر ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) بالدفاع عن الصحابـــة، وتحقيق مواقفهم بعد وفاة الرســـول تحقيقًا علميًّا موضوعيًّا، وذلك في كتابه القيِّم: «العواصم من القواصم» الَّذي أخرج الجزء الخاصَّ منه بالصحابة، وحقَّقه وعلَّق عليه بإفاضة: العلَّامة السيِّد محبُّ الدِّين الخطيب، رحمهما الله وجزاهما عن الإسلام خيرًا.

ثانيًا: كما يتعرَّض التاريخ للتحريف والتشـــويه في تدوينه، يتعرَّض لهما أيضًا في تفسيره.

وفي عصرنا هذا نجد الأهواء والعصبيـــات والتيارات الفِكْريَّة تعمل عملها في تفســـير التاريخ وتوجيه وقائعه، وقد انعكس هذا على التاريخ الإسلامي أيضًا.

فالمستشـــرقون ـ في الغالب ـ حين يبحثون في التاريخ، يخدمون به فكرة بيَّتوها عن مُحَمَّد ﷺ ودينه، فمحمَّد ليس برسول الله، والإسلام ليس بدِينِ الله، وأصحابه ليسوا إلَّا ثلَّة من المغامرين المتنافسين على الدنيا!

وإذا كان هذا رأيُهم في الصحابة فكيف من بعدهم؟

QaradawiBooks.com

لا دِينَ عندهم إلَّا اليهوديَّة والمسيحيَّة، أمَّا الإسلام فهو في زعمهم نسخة محرَّفة منهما، ولا عبقريَّة عندهم إلَّا للغربيِّين، ولا حضارة كحضارة اليونان والرومان. والمسلمون لا يزيدون على أن يكونوا نقلة لهما، إلخ.

وفي سبيل هذا يغفلون أحداثًا قيِّمة، ويضخِّمون أحداثًا تافهة، ويردُّون أخبارًا صحيحة، ويعتمدون أخبارًا ضعيفة أو مكذوبة، يتصيَّدونها من أيِّ كتاب ولو كان «الأغاني» للأصفهاني.

ويُوجِّهون هذا كلَّه توجيهًا مسمومًا يؤيِّد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأُمَّته.

والماركسيُّون يفسِّرون التاريخ ـ وفقًا لفلسفتهم المعروفة ـ تفسيرًا ماديًّا طَبَقيًّا، ويحاولون أن يطبِّقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره وانتشاره، ويعتسفون في ذلك كلَّ الاعتساف، ويحمِّلون الأحداث ما لا تحتمل بحال، ويقسِّمون الصحابة إلى يمين ويسار، ويديرون صراعًا موهومًا بينهما، وهكذا. وكثير من كُتَّاب المسلمين أنفسهم، يخلعون على حوادث التاريخ، ومواقف رجاله، ما عرفوه وخبروه من ألاعيب السياسة، ومواقف رجالها في هذا، ويتخيَّلون العلاقة بين عمر وخالد، أو بين عثمان وعلي، أو بين علي وطلحة والزبير، من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب، وتجار السياسة في عصرنا، ويفسِّرون المواقف والأحداث تبعًا لهذا التصور الظالم، المُتَجَنِّي على هذا الجيل المثالي الَّذي لم تكتحل عين الدُّنْيا برؤية مثله.

والقوميُّون من العرب يوجِّهون التاريخ الإسلامي كلَّه وجهة قومية؛ فالإسلام في نظرهم انتفاضة عربيَّة أو وثبة من وثبات العبقريَّة العربيَّة!

QaradawiBooks.com

ورســـول الإســـلام ذاته بطل قومي جادت به أمة العرب على الإنسانيَّة! ولا نعجب بعد ذلك إذا غدا «أبطال الإسلام» وعلماؤه ورجالاته الكبار على مدار تاريخـــه «أبطالًا عربًا»، ولا أن تســـمَّى الحضارة الإســـلاميَّة «حضـــارة عربيَّة». مع أنَّهـــا بلا ريب إســـلاميَّة بحكم أهدافهـــا وقِيَمها المستمدَّة من الإسلام، إسلاميَّة بحكم بواعثها ودوافعها المرتبطة بخدمة الإسلام، إسلاميَّة بحكم العناصر الَّتي أسهمت في بنائها وتشييد أركانها، وهي عناصر تشمل كلَّ الأجناس والشـــعوب الإسلاميَّة. إسلاميَّة بحكم الرقعة الَّتي امتدَّت إليها وأثَّرت فيها، وهي رقعة واســـعة تشـــمل العالم الإسلامي كلَّه.

على أنَّ للعرب فضلًا لا يُنكر؛ فهم عصبة الإســـلام الأولى، وحَمَلَة رسالته الأوَّلون، ومبلغو القرآن والسُّنَّة إلى العالمين، وفيهم بُعِثَ الرسول الخاتم، وبلســـانهم نزل الكتـــاب الخالد، وفي أرضهم حَـــرَم الله وحَرَم رسوله. ولكن هذا شيء، وتحريف التاريخ شيء آخر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثقافة الأدبيَّة واللغويَّة

وإذا كانت الثقافة الدِّينيَّة لازمة للداعية في الدرجة الأولى، فإنَّ الثقافة الأدبيَّة واللغويَّة لازمة له كذلك. ولكنَّ الأولى تلزمه لزوم المقاصد والغايات، والثانية تلزمه لزوم الوسائل والأدوات.

واللغة ـ بمفرداتها ونحوها وصرفها ـ لازمة لسلامة اللسان، وصحة الأداء، فضلًا عن حُسْن أثرها في السامع. بل صحَّة الفَهم أيضًا؛ فالأخطاء اللغويَّة إنْ لم تحرِّف المعنى وتشوِّه المراد: يمجُّها الطبع، وينفِّر منها السمع.

وانظر كم يقشعر جلدك، ويضطرب قلبك، ويتأذَّى سمعك، حين تسمع داعية يقول: (التُبْعة)[١]. وهو يريد: التَّبِعة. ويذكر (الأُهُبَّة)[٢]. وهو يريد الأُهْبَة.

وآخر ينصب المرفوع، ويرفع المنصوب، ولا يفرِّق بين فاعل ومفعول به، ولا يبالي بإضافة ولا حرف جرٍّ. فلا يكاد يُنهي سطرًا من الكلام إلَّا ضلَّلك فيه ضَلَّة، أو لطمك ـ ولطم الخليل وسيبويه معك ـ لطمةً أيَّ لطمة.

(١) بضم التاء وتسكين الباء، وهو خطأ.
(٢) بضم الهاء وتشديد الباء مع فتحها، وهو خطأ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما يؤدِّي اللحن إلى إفساد المعنى، وإخراجه إلى ما يناقض الشرع والعقل.

وشرُّ ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله، كذلك الإمام الَّذي صلَّى أعرابي خلفه، فسمعه يقرأ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١] «بفتح تاء تنكحوا». قال: ولا إنْ آمنوا أيضًا لن نَنْكِحهم! فقيل له: إنَّه يلحن، وليس هكذا يُقرأ. فقال: أخِّروه قبَّحه اللهُ، لا تجعلوه إمامًا؛ فإنَّه يُحلُّ ما حرَّم الله[1].

إنَّ المرء لا يستطيع أن يفهم كتاب الله وسُنَّة رسوله بغير التمكُّن من اللغة وعلومها.

لقد أخبرني بعض طُلَّابي أنَّهم سمعوا مَن يقول بأنَّ حوَّاء خُلِقَتْ أولًا وأنَّ آدم خُلِقَ منها بَعْدُ، وأنَّ المرأة هي أصل البشريَّة.

ولمَّا سألتُ من أين جاء بهذا الكلام؟ قالوا: من القرآن من أوَّلِ سورة النساء وما شابهها. وهنا أدركتُ سرَّ الخطأ عند هذا المتحدِّث، وهو جهله باللغة، فقد قرأ قوله تعالى من فاتحة سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، ففهم منها أنَّ كلمة ﴿زَوْجَهَا﴾ تعني الرجل وهو آدم في نظره، ولو كان آدم هو المخلوق أوَّلًا والمرأة هي الَّتي خُلقت منه لقال: «خَلَقَ منها زوجَتَها». وهذا هو المستعمل عُرفًا، تقول عن الرجل: زوج، وعن المرأة زوجة. وغفل هذا الرجل أنَّ القرآن يجب أن تُفسَّر كلماته وفقًا لمدلولها اللغوي لا العُرفي؛ لأنَّ العرف دائم التبديل. واللغة الَّتي نزل بها القرآن تسمِّي المرأة زوجًا كالرجل تمامًا. ولهذا قال تعالى في قصَّة آدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩].

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٦٥/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

ولم يقل (وزوجتك). وقال في شأن هاروت وماروت: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وإنَّما أُتِيَ الرجلُ من جهله باللغة.

والأدب ـ بشعره ونثره، وأمثاله وحكمه، ووصاياه وخطبه ـ مهمٌّ للداعية، يثقِّف به لسانه، ويجوِّد أسلوبه، ويرهف حسَّه، ويقفه على أبواب من العبارات الرائقة، والأساليب الفائقة، والصور المعبِّرة، والأمثال السائرة، والحكم البالغة. ويفتح له نافذة على الروائع والشوامخ، ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة، الَّتي يستخدمها الداعية في محلِّها، فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه.

وقد جاء في الحديث: «**إنَّ من البيان سحْرًا، وإنَّ من الشعر حُكْمًا**»[(١)]. وسمع النبيُّ ﷺ الشعر من أكثر من شاعر، واستجاده واستزاد منه. وكان من أصحابه شعراء معروفون مثل: حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة من الأنصار.

وأَذِن لحسان أن يذود بلسانه وشعره، ويردَّ عنه هَجْو شعراء قريش، وقال له: «**اهجُهم ورُوحُ القُدُسِ مَعَك**»[(٢)].

وروى مؤرِّخو الأدب كثيرًا من الشعر للخلفاء الراشدين، وخصوصًا لعليٍّ رضي الله عنه، فقد روي عنه كثير من الشعر الجيد البليغ، كما روَوا أيضًا لكثير غيرهم.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٢٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٥٠١١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٨٠)، عن ابن عبَّاس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٦) عن البراء بن عازب، بلفظ: «اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك».

QaradawiBooks.com

ومَن لم يقُل الشعرَ منهم فقد رواه ورَغَّبَ في روايته.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: علِّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ورووُّوهم ما يَجْمُل من الشعر[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: رَوُّوا أولادَكم الشِّعْرَ تَعْذُب ألسنتُهم[٢].

وقال المقداد بن الأسود: ما كنتُ أعلم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بشعرٍ ولا فريضة ـ علم المواريث ـ من عائشة[٣].

وروى عنها ابن أبي مليكة: أنَّها كانت تنشد قول لَبِيد:

ذَهَبَ الَّذين يُعَاشُ فـي أَكْنَافِهِمْ وبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ

وتقول: رحم الله لبيدًا، فكيف لو أدرك زمانَنا هذا؟!

ثم قالت: إنِّي لأروي ألفَ بيتٍ له، وإنَّه أقلُّ ما أروي لغيره[٤].

وكان ابن عبَّاس من أروى النَّاس للشعر، حتَّى حكَوا أنَّه كان يحفظ رائيَّة عمر بن أبي رَبِيعة، وكان يستند إلى الشعر في تفسيره للقرآن، كما يُعرَف ذلك من محاورته لنافع بن الأزرق[٥].

---

(١) رواه أبو يعقوب القَرَّاب في فضائل الرمي في سبيل الله (١٥)، تحقيق مشهور حسن محمود سلمان، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٤/٦).

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (١٨٨/١)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) العقد الفريد (١٢٤/٦).

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٣/٤٥، ٩٤). تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، والبيت في ديوان لبيد صـ ٣٦، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

وقال الشعبي أحد أئمَّة التابعين بالكوفة: ما أنا لشيءٍ من العلم أقلَّ مِنِّي روايةً للشعر، ولو شئتُ أن أُنْشِد شِعْرًا شهرًا، لا أعيد بيتًا، لفعلتُ[١].

ويروى أنَّ زيادًا بعث بولده إلى معاوية، فكاشفه عن فنون من العلم، فوجده عالمًا بكلِّ ما سأل عنه، ثمَّ استنشده الشعر. فقال: لم أروِ منه شيئًا. فكتب معاوية إلى زياد: ما منعك أن تروِّيه الشعر؟! فوالله إن كان العاقُّ ليرويه فيبرُّ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل[٢].

وهذا يدلُّنا على مقدار ما للأدب عامَّة، وللشعر خاصَّة، من تأثير في النفس البشريَّة، كما يدلُّنا على أنَّ العناية بالأدب، والتضلُّع منه، والاطِّلاع على مصادره والحرص على تقييد أوابده، وترديد فرائده، والاستفادة منها عند الحاجة، أمر لازم للداعية الناجح.

ولا غَرْو أن جعل الله الآية الكبرى، والمعجزة العظمى، لخاتم رسله آية أدبيَّة، ومعجزة بيانية، أثَّرت في خصومها وأنصارها على سواء: القرآن الكريم؛ وذلك لينبِّهنا على قيمة الأدب ومنزلة البيان.

ولنضرب لذلك مثلًا: هبْ أنَّك تتحدَّث عن صلة الرحم، وبرِّ ذوي القربى، وذكرتَ ما تيسَّر في الموضوع من الكتاب والسُّنَّة، أفلا يكون ممَّا يوسِّع أفق حديثك، ويزيده تأثيرًا على تأثير، أن تذكر بعض ما حفلت به كتب الأدب في ذلك من شعر ونثر؟ فمن ذلك قول عليٍّ: أكرِم

(١) العقد الفريد (١٢٥/٦).

(٢) المصدر السابق (١٢٤/٦).

QaradawiBooks.com

عشـــيرتك؛ فإنَّهم جناحك الَّذي به تطير، وأصلك الَّذي إليه تصير، إلخ.

ومن ذلك قول طَرَفَة في معلَّقته:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ[1]

وقول الآخر:

أخاكَ أخـــاكَ، إنَّ مَـــن لا أخا له كســـاعٍ إلى الهَيْجَا بِغَيْرِ سِـــلَاحِ

وإنَّ ابنَ عَمِّ المَـــرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ وهَلْ يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ[2]**؟**

وقول الحماسي:

وإنَّ الَّذي بَيْنِي وبَيْـــنَ بَنِي أَبِي وبَيْنَ بَنِي عَمِّـــي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا

إِذَا أَكَلُوا لَحْمِـــي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمُو وَلَيْسَ كَبِيرُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا[3]

وقول الآخر:

قَوْمِـــي هُمُو قَتَلـــوا أُمَيْـــمَ أَخِي فَـــإِذَا رَمَيْـــتُ يُصِيبُنِي سَـــهْمِي!

فَلَئِـــنْ عَفَـــوْتُ لَأَعْفُـــوَنْ جَلَـــلًا ولَئِنْ رَمَيْتُ لَأُوهِنَـــنْ عَظْمِي[4]**!**

---

(١) ديوانه بشرح الأعلم الشنتمري صـ ٣٦، تحقيق مكس سلغسون، نشر مطبعة برطرند، مدينة شالون، ١٩٠٠م.

(٢) القائل: مسكين الدارمي. كما في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (١٣٤/١)، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٣) القائل: المُقَنَّع محمد بن ظفر بن عمير الكندي. كما في الحماسة لأبي تمَّام (٦٠٣/١، ٦٠٤)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨١م.

(٤) القائل: الحارث بن وعلة الذهلي. كما في أمالي القالي (٢٦٢/١)، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

QaradawiBooks.com

ومن الجوانب المهمَّة في الثقافة الأدبيَّة: ما تحكيه كتب الأدب من حوار وقصص وأخبار، كثيرًا ما تكون لها قيمة أخلاقيَّة، أو دلالة تربويَّة، فيلتقطها الداعية ذو الحسِّ المرهف، لينقلها من مجال المتعة بالقراءة إلى مجال الدعوة والتوجيه.

أذكر هنا مثالًا لذلك: ما حكاه ابن عبد ربِّه الأندلسي في كتابه «العقد الفريد»: أنَّ رجلًا يقال له: ابن سُلَكَة، دخل على الحجاج يشكو إليه ظلمة حلَّت به على أيدي رجاله. فكان ممَّا قاله للحجاج:

عصى عاصٍ من عُرض العشيرة، فحُلِّق على اسمي[1]، وهدم منزلي، وحُرمت عطائي!

يعني الرجل: أنَّ هذا كلَّه أصابه بذنب واحد من العشيرة! كما يفعل الطغاة إلى يومنا هذا.

قال الحجَّاج: هيهات، أما سمعتَ قول الشاعر:

جانيك مَن يجني عليك وقد ... تُعدي الصحاحَ مبارِكُ الجُرْبِ
ولرُبَّ مأخوذٍ بذنب عشيرةٍ ... ونجا المقارفُ صاحبُ الذَّنْبِ!

فقال الرجل: أصلح الله الأمير، إنِّي سمعتُ الله ﷻ يقول غير هذا. قال: وما ذاك؟ قال: قال الله تعالى، أي على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٨، ٧٩]. قال الحجاج: عليَّ بيزيد بن أبي مسلم. فمثُل

(١) يعني أن اسمه وضع داخل حلقة أو دائرة من المداد، كما يفعل أمام المواد التي يرسب فيها التلميذ. وبتعبير العصر: وضع اسمه في القائمة السوداء.

QaradawiBooks.com

بين يديــه، فقال: افكُك لهذا عن اســمه، واصْكُكْ لــه بعطائه، وابنِ له منزله، ومُرْ مناديًا ينادي: صدق اللهُ وكذب الشاعر[١]!

فهــذه القصَّة الَّتــي ترويها كتــب الأدب تدلُّ بوضــوح على أنَّ للشــريعة الإســلاميَّة ســلطانها وهيبتها على طغاة الحــكام، وهذه خصيصة فريــدة تتميَّز بها الشــريعة الربَّانيَّة عن الأنظمــة والقوانين الوضعية، كما تدلُّنا على أنَّ أطغى الطغاة في العصور الأولى لم يكن ليجرؤ على رفــض شــريعة الله، أو تَحدِّي نصوصهــا، ولو كان هو الحجاج بن يوسف.

حتى الطرائف والمُلَح الأدبيَّة يجد الداعية الموفَّق لها مكانها ووقتها، فينتفع بها، ليثبت بها معنًى معيَّنًا، أو ليروِّح بها عن ســامعيه. كما قيل: إنَّ القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة[٢].

ويســتطيع الداعية الملهم كذلــك، أن يقتبس كثيــرًا من النصوص الأدبيَّة وبخاصَّة الشــعر الرفيــع، فينقلها من موضوعهــا الأصلي الَّذي سيقت فيه، إلى موضوع يراه الداعية أليقَ لها، وأحقَّ بها، وهو كثير.

قال بعضهم: حضرتُ مجلس الشــبلي، فقام إليه رجل من أصحابه، فقال له: أوصني. فقال: لقد أوصاك الشاعر بقوله:

قالوا: تَوَقَّ دِيَارَ الْحَــيِّ، إنَّ لَهُمْ عَيْنًا عَلَيْكَ إِذَا مَا نِمْتَ لَمْ تَنَمِ[٣]

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٧٦/٥، ٢٧٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في العقل وفضله (٩٤)، عن علي. نشر مكتبة القرآن، مصر.

(٣) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني (٤٢٠/٢)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما استعار أهل المحبَّة لله أشعار العشَّاق، من أمثال قيس وجميل وكُثيِّر، فاستعملوها هم في أغراضهم الربَّانيَّة، ولم يلتفتوا إلى أنَّها قيلت في ليلى أو بثينة أو عزَّة، بل ربَّما بقيت هذه الأسماء، فلم يبالوا بها.

وقد أنشأ أبو فِراس الحمداني أبياتًا من قصيدة يخاطب بها أميره وابن عمِّه سيف الدولة، فنقلها الصالحون إلى مَن لا يجوز أن يُخاطب بها غيره، وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، وهي قوله:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وبَيْنِي وبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ[1]

ورأيتُ من النَّاس مَن ينسبها إلى رابعة العدوية، والحقيقة أنَّها لم تُنشَأ إلَّا بعد رابعة العدوية بزمنٍ طويل.

* * *

(١) ديوانه صـ ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الثقافة الإنسانيَّة

ونعني بها: أن يلمَّ الداعية إلمامًا مناسبًا بأصول ما يُعرف الآن باسم «العلوم الإنسانيَّة»، مثل علوم: النفس والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والأخلاق والتاريخ، وقد فَصَلْنا التاريخ عنها، وخصَّصناه بالذكر لأهميته الخاصَّة للداعية، ولا سيَّما أنَّنا أدخلنا فيه التاريخ الإسلامي.

وإنَّما أوصينا الداعية بذلك لعدَّة أسباب:

١ ـ أنَّ موضوعها له علاقة وثيقة بموضوع الدعوة، أو قُل: إنَّ موضوعهما واحد وهو: الإنسان. الإنسان في الماضي أو الحاضر، الإنسان فردًا أو مجتمعًا، الإنسان مفكِّرًا لنفسه أو مقلِّدًا لغيره، الإنسان منتجًا أو مستهلكًا، الإنسان ريفيًّا أو متحضِّرًا، الإنسان أميًّا أو متعلِّمًا، الإنسان حيث كان، وكيف يكون.

٢ ـ أنَّ الإلمام بهذه العلوم يعين على فَهم الناس، وبخاصَّة الَّذين تثقَّفوا بهذه العلوم، وأصبحت جزءًا من تكوينهم الفكري، ومزاجهم الثقافي. والداعية مأمور أن يخاطب النَّاس على قدر عقولهم، وأن يبيِّن لهم بلسانهم ليفهموا عنه، ولا يستطيع ذلك ما لم يكن بينه وبينهم جسر مشترك من الثقافة، يقرِّب المسافة، ويزيل الهوَّة أو الفجوة العقليَّة والنفسيَّة بين عالم الدِّين والمثقَّفين بالعلوم الحديثة.

QaradawiBooks.com

٣ ـ أنَّ لهذه العلوم في كثير من الأحيان رَشَحَاتٌ ضارَّة على الثقافة المعاصرة، وسمومًا تنفثها في شتَّى المجالات، لا يكاد يسلم منها كتاب، أو مجلة، أو صحيفة، أو إذاعة، أو غيرها، ومَن لم يعرف مصادر هذه الرَّشَحَات والسموم لم يستطع أن يقاومها بأسلوبٍ علميٍّ رصين، بل لعلَّها تتسلَّل إلى نفسه، وتؤثِّر في فكره وقلبه ولسانه وهو لا يشعر، ولهذا قيل: عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقِّيه.

- **تنبيهات لدارس العلوم الإنسانيَّة:**

وأودُّ أنْ أنبِّه هنا ـ أي في مجال العلوم الإنسانيَّة ـ إلى جملة أشياء:

١ ـ أنَّ هذا اللون من العلوم ـ مهما قيل فيه ـ يخضع لكثير من التفسيرات، تبعًا للمدارس المختلفة، وتبعًا لتفكير الدارس، وثقافته واتِّجاهه.

٢ ـ أنَّها ـ بناءً على ذلك ـ تتسرَّب إليها إسرائيليَّات حديثة، كما تسرَّبت إلى كتبنا من قبل الإسرائيليَّات القديمة، إسرائيليَّات مثل فرويد في علم النفس، ودوركايم في علم الاجتماع، وماركس في علم الاقتصاد.

٣ ـ أنَّ للذاتيَّة فيها مجالًا رحبًا، للاستنتاج الظَّنِّيِّ، وميدانًا فسيحًا لتعدُّد الآراء واختلاف وجهات النظر؛ لأنَّ موضوعها ليس المادة الجامدة بل الإنسان المتحرِّك المتغيِّر، ولذا تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس، وتنقض في الغد ما تبرمه اليوم، وتهدم مدرسة منها ما تبنيه أخرى، وينفي فيلسوف أو عالم ما يبالغ غيره في إثباته وتأكيده.

٤ ـ أنَّ طريقة العرض والسياق للمادة العِلميَّة ـ ولو كانت سليمة ولا غبار عليها ـ تتأثَّر بعقيدة صاحبها وفكره وثقافته، وتؤثِّر بالتالي في

QaradawiBooks.com

قارئها، وهذا واقع في عــرض العلوم البحتة ذاتهــا، كالفيزياء والأحياء وغيرها؛ فالمادي يقول: خَلَقتْ الطبيعةُ. والمؤمن يقول: خَلَقَ الله. هذا في العلوم التجريبية المحضة، فكيف بالعلوم الإنسانيَّة، وهي كما ترى؟!

٥ ـ لهــذا كلِّه أقول: إنَّ من المهم، بل من الضــروري: أن تقدَّم هذه العلوم لطلاب الدعوة بأقلام إســلاميَّة مأمونة، لا يُخشى من تأثير الغزو الفكري، والإسرائيليَّات الحديثة على عقولها، ولهذا يُشترط فيمن يقدِّم هذه الدراسات:

١ ـ أن يكــون متخصِّصًا فيمــا يكتب، غير دخيل علــى الموضوع، ولا مقتحم ما ليس له. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

٢ ـ أن يكون مسلَّحًا بثقافة إسلاميَّة ناضجة، غير مبتسرة ولا سطحيَّة، حتَّى يتمكَّن من عرض موضوعه في ضوء منطلقات إســلاميَّة صحيحة، منبثقة من عقيدة الإســلام ونظرته إلى الدين والحياة، وإلى الله والكون، وإلى الإنسان والتاريخ.

٣ ـ أن يكون وراء هذه الثقافة، وذاك التخصُّص، رُوح إسلاميَّة حيَّة، وضمير إسلامي يقظ. وإن شئتَ قلتَ: التزام بالإسلام، وإيمان بأنَّه أمثل فلسفة للحياة، وأعدل نظام للمجتمع.

- **علم النفس:**

ولا أريد به علم النفس القديم، الَّذي كان جزءًا من أجزاء الفلســفة، ولا علم النفس الَّذي اشتهرت به مدرسة التحليل النفسي، وما انبثق عنه من نظريات لم يقُم دليل على صحَّتها.

إنَّما أريد عِلْــمَ النَّفْس التجريبــي، الَّذي انتهت إليه الدراســات

QaradawiBooks.com

النفسيَّة الحديثة، والَّذي تقوم دراسة الظواهر النفسيَّة فيه على أساس الملاحظة والتجرِبة والقياس والاختبار، والَّذي يطبَّق على البشر لا على الورق، ويعتمد على الرياضيات والأرقام، لا على مجرَّد التأمُّل أو الافتراض.

إنَّ علم النفس بهذا المفهوم يفيد الداعية في أكثر من جانب:

أوَّلًا: أنَّه يفيده في بيان الآثار الطيِّبة، والثمار النافعة للإيمان والتديُّن في نفسيَّة صاحبه وسلوكه في الحياة.

تجد ذلك واضحًا في مثل ما سجَّله الطبيب النفسي الأمريكي المشهور، الدكتور (هنري لنك) في كتابه «العودة إلى الإيمان»، وقد ترجم في أوائل الخمسينيَّات إلى العربيَّة، وقال مترجمه: إنَّه طبع (٤٧) مرة في أمريكا. وقد أُجْرِيَ أكثر من ثلاثة وسبعين ألف (٧٣٠٠٠) اختبار نَفْسي على عشرة آلاف نَفْس، خرج منها بنتيجة هامَّة هي:

«أنَّ كلَّ مَن يعتنق دينًا، أو يتردَّد على دار العبادة: يتمتع بشخصيَّة أقوى وأفضل ممَّن لا دين له، ولا يزاول أيَّة عبادة».

ومثل هذا ما قرَّره الدكتور «كارل يونج» في كتابة «الرجل العصري يبحث عن روح»: أنَّه لم يجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الَّذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع في أساسها إلى افتقاد الإيمان، والخروج على تعاليم الدين، ولم يبرأ واحد من هؤلاء المرضى إلَّا حين استعاد إيمانه، واستعان بأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة، فيكفي هذا ردًّا على الَّذين يزعمون أنَّ الدِّين أفيون مخدِّر للشخصيَّة الإنسانيَّة.

QaradawiBooks.com

ويقول الفيلسوف الأمريكي الشهير «وليم جيمس»: «إنَّ أعظم علاج للقلق ـ ولا شكَّ ـ هو الإيمان»[١].

وينقل «ديل كارنيجي» عن الدكتور «أ. أ. بريل» قوله: «إنَّ المرء المتديِّن حقًّا لا يعاني مرضًا نفسيًّا قط».

ويعقِّب على ذلك «كارنيجي» بقوله:

«وعندي أنَّ أطبَّاء النَّفْس ليسوا إلَّا وعَّاظًا من نوع جديد، فهم لا يحضُّوننا على الاستمساك بالدِّين، توقِّيًا لعذاب الجحيم في الدار الآخرة فحَسْب، وإنَّما يوصوننا بالدِّين توقِّيًا للجحيم المنصوب في هذه الدنيا: جحيم قرحات المعدة، والانهيار العصبي، والجنون»[٢] إلخ.

ثانيًا: أنَّه يفيد في فَهم كثير من النصوص الدِّينيَّة، والتعبير عنها تعبيرًا يلائم عقليَّة العصر ورُوحه. فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦]. يدلُّنا على أنَّ التفكير النافع الجدير بأن يوصِّل صاحبه إلى الحقِّ، هو تفكير الإنسان مع رفيق له أو وحده ـ بعيدًا عن تأثيرات العقل الجمعي وإيماءاته الَّتي كثيرًا ما تجرف الإنسان عن الصواب والاتزان ـ وهذا ما يقرِّره علم النفس.

وقوله: «**لا يقضي القاضي وهو غضبانُ**»[٣]، يشير إلى تأثير الانفعال

(١) انظر: دع القلق وابدأ الحياة لديل كارنيجي صـ ٢٠٩، ترجمة عبد المنعم محمد الزيادي، نشر مكتبة الخانجي، ط ١٦.

(٢) انظر كتابنا: الإيمان والحياة صـ ٣١٩ ـ ٣٣٠، عنوان: الطب النفسي في موكب الإيمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٨، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة. بلفظ: «لا يقضينَّ حكم».

QaradawiBooks.com

ـ وخصوصًا إذا اشتدَّ ـ على سلامة الإدراك، وصحَّة التفكير. وهو ما يقرِّره علم النفس.

ثالثًا: أنَّه يزيد الداعية فهمًا لأسرار كثير من الأحكام الشرعيَّة ـ فيزداد إيمانًا بكمال عدل الله وحكمته فيما شرع ـ ويكون أقدر على بيان ذلك لغيره من الناس. من ذلك جعل قوامة الأسرة بيد الرجل لا المرأة ـ فلم يكن ذلك محاباةً لجنس الرجال، ولا حيفًا على جنس النساء ـ كيف والله خالق الذكر والأنثى جميعًا، وهو ربُّهما؟!

يقول الدكتور يوسف مراد: «كثير من البحوث الَّتي استُخدم فيها مقاييس التقدير الذاتي للشخصيَّة ـ والَّتي طبِّقت على مجموعة من الذكور والإناث الكبار ـ بيَّنت أنَّ هناك فروقًا بين الجنسين في النواحي الانفعالية. ومما يمثِّل هذه الدراسات بحث للتقدير الذاتي بمقاييس «برنو ويتر»، وكان من نتائج تطبيقه: أنَّه تبيَّن أنَّ الرجال بالتأكيد أكثر ثباتًا من النساء، وأنَّهم أقلُّ تعرُّضًا لاضطراب الأعصاب، وأكثر اعتمادًا على أنفسهم، وأقلُّ انطواءً، وأكثر سيطرة، وأكثر ثقة في أنفسهم من النساء»[(١)].

رابعًا: أنَّه يُعِين الداعية على فَهْمِ نَفْسيَّة مَن يدعوه من الأفراد أو الجماعات، ودراسة اهتماماتهم، وما يؤثِّر في نفوسهم، ليخاطبهم على قدر عقولهم، ويعطيهم بقدر ما يقبلون ويطيقون، دون أن ينفِّرهم، أو يثقل عليهم، أو يجلب لهم الملل والسآمة.

وهنا نذكر الوصيَّة النبويَّة: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[(٢)].

(١) ميادين علم النفس (٦٠٦/٢، ٦٠٧)، نشر دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وكان عبد الله بن مسعود يذكِّر النَّاس في كلِّ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمٰن، لوددتُ أنَّك ذكَّرتنا كلَّ يوم! قال: أما إنَّه يمنعني من ذلك أنِّي أكره أن أملَّكُم. وإنِّي أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا[١].

- **علم الاجتماع:**

وهو العلم الَّذي يُعنى بدراسة المجتمع البشري في مختلف جوانبه، ويعمل على تحليل ظواهره والكشف عن القوانين الَّتي تحكم مسيرته.

والغربيون ينسبون تأسيس هذا العلم إلى «أوجست كونت» الفيلسوف الفرنسي، ويسمُّونه «أبا الاجتماع». جاهلين أو متجاهلين الوثبات الرائعة الَّتي حقَّقها العلَّامة عبد الرحمٰن بن خلدون في هذا العلم، كما يلاحظ ذلك بوضوح من درس «مقدمته» الفذَّة في فلسفة التاريخ[٢].

ولهذا العلم مدارس عديدة، وفيه اتجاهات متباينة، ولكلٍّ منها مناهجه في البحث والتحليل، من المنهج التاريخي، إلى المنهج التطويري، إلى المنهج المقارن، إلى المنهج الوظيفي، إلى المنهج الصوري أو النظري، إلى ما جدَّ ويجدُّ من مناهج يعلمها الله وحده. حتَّى قال أحد النقَّاد يومًا ـ هنري بوانكاريه ـ عن علم الاجتماع: إنَّه علم ذو أكبر عدد من المناهج، وأقل عدد من النتائج[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٠)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨٢١).

(٢) انظر: مقدمة د. علي عبد الواحد وافي لمقدمة ابن خلدون بتحقيقه صـ ٢٨٥ ـ ٢٨٧، نشر لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

(٣) انظر: تمهيد في علم الاجتماع للأستاذ توماس بيرتون بوتومور صـ ٥٨، ترجمة د. محمد الجوهري وآخرين، نشر دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٢م.

QaradawiBooks.com

ويحسن بالداعية أن يطَّلع على نبذة من أصول هذا العلم، وأهم مقرَّراته وأحدث ما انتهى إليه رجاله.

فكثيرًا ما يُتخذ بعض ما يحويه هذا العلم سلاحًا لضرب الدين، وتعويق دعوته من مثل ما سمَّاه «كونت» قانون الدورة الثلاثيَّة «الذي يقضي بأنَّ دور الدين قد انتهى، كما انتهى دور الميتافيزيقا الفلسفيَّة، ولم يبقَ إلَّا العلم التجريبي»[١]. وما قرَّره هو وغيره من اعتبار الدين ظاهرة اجتماعيَّة وتفسير كلِّ دعوات الأنبياء، على أنَّها من صنع البشر. وكذلك ما قرَّره «دوركايم» وغيره، من تطوُّر الأديان من الوثنيَّة إلى التوحيد، خلافًا لما يقرِّره القرآن والسُّنَّة.

ومثل ما قرَّره «دوركايم»، من أنَّ الفرد دمية يحرِّك خيوطها المجتمع، ممَّا يتنافى مع المسؤوليَّة الفرديَّة الَّتي يؤكِّدها الدِّين، ويقيم عليها بناء التكليف وفكرة الثواب والعقاب.

ومن المهم، بل من الضروري، أن تُعرَض أسس العلم من منظور إسلامي، ومن منطلقات فِكْريَّة تنسجم مع عقيدة الإسلام ونظرته إلى الدين والحياة والإنسان والتاريخ[٢]. حتَّى يُتَّخذ وسيلةً لفَهم أوضاع

(١) راجع هذه النظرية في كتاب الدين للدكتور دراز صـ ٨٤ وما بعدها، نشر دار القلم، الكويت. وأسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل صـ ٢٠٧ ـ ٢٠٩، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٨م.

(٢) هناك عدة محاولات جادة لتحقيق هذا الهدف، أذكر منها: المدخل إلى المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع للدكتور مصطفى محمد حسنين، والمسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية للأستاذ عمر عودة، والإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد العسال، وقضايا في الاجتماع الإسلامي المعاصر للدكتور محمد إبراهيم الفيومي، والمجتمع الإسلامي المعاصر للأستاذ محمد المبارك.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المجتمع، ودراسة مشكلاته دراسة عِلميَّة ومعرفة أسبابها، ومحاولة علاجها علاجًا جذريًّا لا مسكِّنًا.

غير مرخصة للطباعة

- **الفلسفة:**

ويحسن بالداعية أن يلمَّ ـ أيضًا ـ بالفلسفة، واتجاهاتها المادِّيَّة والرُّوحيَّة والوضعية والمثالية، وبتاريخ الفكر الإنساني عامَّة والإسلامي خاصَّة، لا ليعتنق آراء الفلاسفة، أو يتبنَّى وجهة نظرهم في الإلٰهيَّات أو الأخلاقيات أو الاجتماعيات، ولكن ليفيد من وراء دراستها في نواحي أخرى منها:

(أ) أن يتمكَّن من فَهم الأفكار والفلسفات الَّتي غزت كثيرًا من عقول أبناء المسلمين اليوم، وأصبح لها دعاة ومروِّجون في قلب ديار الإسلام، من أساتذة الجامعات ورجال الأدب والثقافة والإعلام، فهذا تطويري، وآخر وضعي، وثالث ماركسي، ورابع وجودي، إلى غير ذلك من المدارس، الغربيَّة أو الشرقيَّة، الواقعيَّة أو المثالية، اليمينية أو اليسارية. وتختلف اتجاهاتها وتتَّفق على رفض الإسلام، وليس يُقبل منَّا السكوت على هذه الأفكار والفلسفات ـ على طريقة النعامة المعروفة ـ وهي تغزونا في عقر دارنا، وتأسر إليها أبناءنا، كما أنَّنا لا نستطيع مقاومتها فكريًّا، ما لم نحسن فَهمها وتصوُّرها، وقديمًا قال أهل النظر: «الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره».

(ب) أنْ يتمكَّن من الردِّ على الفكر المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه؛ لأنَّ الردَّ على المخالفين بالقرآن والحديث لا يصلح، إذ هم لا يؤمنون بهما، وهذا ما فعله الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة»،

QaradawiBooks.com

وما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، وفي «نقض المنطق» وغيره، ولولا هضمهما للأفكار الفلسفيَّة ما استطاعا نقضها من القواعد.

وهذا ما يجب أن يصنعه كلُّ داعية للإسلام مع الأفكار الوافدة الهدَّامة.

(ج) أن يعرف ـ بدراسة تاريخ الفكر ـ الأصول والمنابع لكثير من التيارات الفلسفيَّة والمذاهب الفِكْريَّة الحديثة، كالمادِّيَّة والشيوعيَّة والوجودية. وهذا يعين الباحث على تقويمها ونقدها نقدًا علميًّا مستوعبًا، كما يعرف الجذور التَّاريخيَّة لكثير من التحريفات الَّتي دخلت على الأديان الكتابية ذاتها، كما يتَّضح ذلك من فكرة التثليث والصلب والفداء والبنوة لله، إلخ، وإلى ذلك يشير القرآن بقوله في أهل الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

(د) أن يطَّلع على تخبُّطات الفكر الإنساني إذا بحث في الغيبيات وقضايا الوجود الكبرى وحده، دون دليل أو معين من وحي الله وهداه، وقد قال أحد الفلاسفة (كانت) في نتائج البحوث العقليَّة الميتافيزيقيَّة: إنَّها أشبه بوَرَقِ نَقْدٍ بغير ضمان. وبذلك يزداد إيمانًا بما هدى إليه وحي الله، فيستريح عند ذلك ويريح، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(هـ) أن ينتفع بما يجده من نتاج العقل وثمار الحكمة، مؤيِّدًا لما معه من حقٍّ خالصٍ جاء به الوحي، وفي الحديث: «**الكلمةُ الحكمة ضالَّةُ المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها**»[1]. ولا عجب أن يتَّفق العقل والنقل،

(١) سبق تخريجه صـ ٧٢.

QaradawiBooks.com

ويلتقي نور الفطرة السليمة بنور الوحي الصادق، فيظهر من بينهما «نور على نور». بل الواجب أن يلتقي العقل الصريح والنقل الصحيح لا محالة؛ لأنَّ كِلَيْهِما أثَرٌ من آثار رحمة الله بعباده، وبرِّه بهم، ونعمته عليهم، وآثاره تعالى لا تتناقض، فإن بدا لنا شيء من التناقص بين العقل والنقل، فلا بدَّ أن يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صحيح، وهذا ما وضَّحه وبرهن عليه شيخ الإسلام في كتابه الآنف الذكر.

ومن المهمِّ جدًّا أن يُكتَب عن أصول الفلسفة وتاريخها، ومشكلاتها الكبرى، وتياراتها المعاصرة، بأقلام إسلاميَّة متخصِّصة، تتميَّز بالنضج والأصالة والإيمان العميق بما جاء به مُحَمَّد ﷺ من الهدى ودين الحقِّ، والتحرُّر من سيطرة أيِّ فكرٍ غازٍ دخيل[1].

- **علم الأخلاق:**

وممَّا يدخل في الفلسفة علم الأخلاق، بنظرياته المختلفة ومدارسه المتعدِّدة، فهو جزء من الفلسفة، وليس «علمًا» كما زعم «ليفي برول» من فلاسفة المدرسة الاجتماعيَّة الفرنسيَّة. لأنَّ العلم يبحث عمَّا هو كائن، وهذا يبحث عمَّا يجب أن يكون، وموضوعه إحدى القِيَم الرئيسيَّة الثلاث الَّتي تنشدها الفلسفة، وهي: الحق والخير والجمال. وتختصُّ فلسفة الأخلاق بالبحث عن الخير كما هو معلوم.

(١) من أفضل ما كتب في ذلك: الدين للدكتور محمد عبد الله دراز، والجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، وتهافت الفكر المادي التاريخي، كلها للدكتور محمد البهي، وقصة الإيمان بين العلم والفلسفة للشيخ نديم الجسر، والتفكير الفلسفي في الإسلام، والإسلام والعقل للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، ونشأة الفكر الإسلامي في الإسلام، ومناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار.

QaradawiBooks.com

ومن الكتب النافعة في هذا الباب:

الفلسفة الخُلُقِيَّة	توفيق الطويل.
المشكلة الأخلاقيَّة والفلاسفة	ترجمة عبد الحليم محمود وأبو بكر هلال ذكري.
مباحث في فلسفة الأخلاق	محمد يوسف موسى.
كلمات في مبادئ علم الأخلاق	محمد عبد الله دراز.
تهذيب الأخلاق	ابن مسكويه.

وأمَّا ما كتب عن فلسفة الأخلاق في ضوء الإسلام، فلا ريب أنَّ أجمعها وأعمقها هو «دستور الأخلاق في القرآن» لشيخنا الدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ.

- **علم التربية:**

ومن العلوم الإنسانيَّة الَّتي ينبغي للداعية أن يلمَّ بها: علم التربية، الَّذي أصبح له أثره وخطره في الحياة التعليمية بمختلف مراحلها، وشتَّى ميادينها وأنواعها، وهو يؤثر تأثيرًا بالغًا في الأنظمة التربويَّة، ويصبغها بصبغات مختلفة حسب فلسفة التربية ومنطلقها ووجهتها، وبخاصَّة أنَّ في التربية مدارس واتِّجاهات تتباعد أحيانًا من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، من التفريط إلى الإفراط.

وشيء آخر يجعل للتربية أهميَّة خاصَّة بالنظر إلى الداعية، ذلك أنَّ الدعوة كالتربية، كلتاهما تسعى إلى التأثير في فكر الإنسان وانفعاله ونزوعه، بغية الارتقاء بمفاهيمه وأخلاقه وسلوكه.

QaradawiBooks.com

والداعية كالمربِّي في ذلك، وإن كان لكلٍّ منهما وسائل ينفرد بها، أو يتفوَّق فيها على صاحبه، وكثيرًا ما يكون الداعية مربِّيًا، والمربِّي داعية.

ومن ثـــمَّ كان لا بدَّ للداعية من الاســـتفادة بعلـــوم التربية وخبرات المربِّين، وتجاربهم العديدة المتنوِّعة في مجالات تعليم الكبار والصغار، والانتفاع بالأصيل الجيد من أصول التربية وطرائقها في حســـن توجيه المخاطبين، وإيصـــال المعرفة إليهم، وكيف يمكـــن التأثير في عقولهم وعواطفهم، وإثارة حوافز الخير في أنفســـهم، ومطاردة نوازع الشرِّ بين جنوبهم، ومع وجـــوب الاحتراز مـــن النزعات الهدَّامة، والشـــطحات المتطرِّفة في الفلســـفات التربويَّة الحديثة والمعاصرة، والاســـتنارة بما سطَّرته الأقلام الإسلاميَّة في هذا المجال مثل:

١ ـ فلسفة التربية الإسلاميَّة	عمر التومي الشَّيْباني
٢ ـ في أصول التربية الإسلاميَّة	عبد الغني عبود
٣ ـ من الأصول التربويَّة في الإسلام	عبد الفتاح جلال
٤ ـ منهج القرآن في التربية	محمد شديد
٥ ـ منهج التربية	محمد قطب
٦ ـ نحو التربية الإسلاميَّة الحرة	أبو الحسن الندوي

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثقافة العِلميَّة

ولسنا نعني بالعلم هنا: معناه عند أهل اللغة، ولا مدلوله الاصطلاحي القديم عند أهل المنطق أو علماء الكلام وأشباههم، ولا مفهومه الإسلامي كما جاء به القرآن والسُّنَّة. وإنَّما نعني بكلمة «العلم» مفهومها الاصطلاحي الحديث، كما شاع عند الغربيِّين، ونقله إلينا الناقلون من أهل العربيَّة، حتَّى أصبح مصطلحًا شائعًا، ولا مشاحَّة في الاصطلاح. ومدلول العلم عندهم هو: ما قام على الملاحظة والتجرِبة، وخضع للقياس والاختبار، مثل: علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء ـ النبات والحيوان ـ والجيولوجيا والفلك والتشريح والطبِّ وغيرها.

ولا نريد للداعية أنْ يتعمَّق في دراسة هذه العلوم، فإنَّ هذا غير مقدور عليه، والعمر لا يتَّسع، والطاقة لا تحتمل، والمعارف لا تنتهي، ولا تقف عند حدٍّ.

إنَّما نريد أن يطالع بعض الكتب الميسَّرة منها، ممَّا يعَدُّ لغير المتخصِّصين، وكذلك المقالات العِلميَّة في المجلَّات ممَّا ينشر ليقرأه جمهور المثقَّفين، والمفروض أنَّه واحد منهم، وذلك بعد أن يكون قد درس الأصول المهمَّة من هذه العلوم في المرحلتين الإعدادية والثانوية دراسة تمكِّنه من متابعة الفكر العلمي ـ ولو بقدر ـ فيما بعد.

QaradawiBooks.com

والثقافة العِلميَّة مهمَّــة في عصرنا للمثقَّفين عامَّــة، وللدعاة خاصَّة، وذلك لأسباب:

١ ـ أنَّها مهمَّة لفَهم الحياة المعاصرة، وقد أصبح شريانها، والمحرِّك لكثير من أمورها؛ فمــا من بيــت إلَّا دخلته آثار العلــم الحديث، من كهرباء، وأجهزة وأدوات، حتَّى المسجد نفســه نجد فيه ساعة جدارية، ومكبِّرات للصوت، وقد نجد فيه أجهزة للتسجيل، وكلُّها من إنتاج العلم الحديــث، ولا يجمل بالداعيــة أن يعيش في دنيا يســيِّرها العلم ويدير رحاها، ولا يدرك الأوليات والأساسيات لهذا العلم.

٢ ـ أنَّ بعضَ ما يُعْزى إلــى العلم ـ وتحويه كتبــه ومقرَّراته ـ يتَّخذ وسيلةً للتشكيك في الدين، مثل نظريَّة «النشوء والارتقاء» في الكائنات الحية، الَّتي تعــرف بنظريَّة «التطور» لداروين وغيــره؛ فلا بدَّ من معرفة شــيء عن مثل هذه النظريَّة، وقيمتها من الناحيــة العِلميَّة، حتَّى يمكن للداعية اتخــاذ موقف محدَّد منهــا، بناءً على دراســة صحيحة لا على خيالات أو إشاعات. والحكم للشيء أو عليه فرع عن تصوُّره.

٣ ـ أنَّ من الحقائــق العِلميَّة ما يمكن الداعية اســتخدامه في تأييد الدين، وتوضيــح مفاهيمه، ونصرة قضاياه، والذبِّ عنه، بدفع شــبهات خصومه ومفتريات أعدائه، وذلك يبدو في عدَّة صور، منها:

(أ) تقريب بعض المعتقدات والحقائق الدِّينيَّة من أفهام أهل العصر وتأييدهــا بمنطق العلــم التجريبي نفســه، حتَّى إنَّ أولــى قضايا الدين وكبراها، وهي إثبات وجود الله تعالى، يســتطيع هذا العلم أن يقوم فيها بدورٍ بنَّاء، فــي مواجهة الماديِّيــن والملاحدة، فيقيــم الأدلَّة ويدحض الشــبهات، بوســاطة فروعه العديدة مــن رياضيات، وفلــك، وفيزياء،

QaradawiBooks.com

وكيمياء، وأحياء، وطبٍّ، وغيرها. كما رأينا ذلك في مثل كتاب أ. كريسي موريسون «الإنسان لا يقوم وحده» المترجم إلى العربيَّة تحت عنوان «العلم يدعو إلى الإيمان»، وكتاب «الله يتجلَّى في عصر العلم» لثلاثين عالمًا أمريكيًّا معاصرًا، وكتاب «مع الله في السماء» للدكتور أحمد زكي.

ورأينا مفكري المسلمين ينتفعون بذلك في نصرة العقائد، كما في كتاب «قصة الإيمان بين الدين والعلم والفلسفة» للشيخ نديم الجسر، وكتاب «الإسلام يتحدَّى» للمفكر الهندي وحيد الدين خان، وقد جعل له مراجعه الدكتور عبد الصبور شاهين عنوانًا فرعيًّا هو «مدخل علمي للإيمان». لقد كان المشتغلون بالفلسفة والكلام قديمًا يستبعدون ـ بل ينفون ـ أن يرى الإنسان عَمَلَه في الآخرة بعد أن فرغ منه في الدنيا؛ لأنَّ الأعمال أعراض، والعرض لا يبقى زمانين، وعلى هذا يؤولون مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وما شابهها من آيات، بأنَّ المراد بالأعمال جزاؤها، أي ليروا جزاء أعمالهم. فجاء العلم الحديث ليثبت أنَّ أقوال الإنسان وأعماله كلَّها موجودة في الفضاء، وأنَّها يمكن أن تسجَّل وتصوَّر وتبقى، ولو بعد حدوثها بزمنٍ طويل، وإن لم يوفَّق الإنسان لاختراع آلةٍ تقوم بهذه المهمَّة حتَّى الآن.

ولكنَّ العلم لا ينفي إمكانها، ومعنى هذا أنَّ كلَّ إنسان يمكن أن يُواجه بقوله وعمله طيلة حياته في صورة «فيلم» تسجيلي ناطق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، وبهذا يرى عمله حقيقةً لا مجازًا.

(ب) ويستطيع العلم بمكتشفاته ومقرَّراته، أن يؤيِّد كثيرًا من الأحكام الشرعيَّة ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد

QaradawiBooks.com

عنهم، وبذلك يزداد الَّذين آمنوا إيمانًا، ويضعف جانب المرتابين والمشكِّكين في كمال الشريعة الإسلاميَّة، وصلاحيتها لكلِّ زمان ومكان.

يستطيع علم الطبِّ أن يعطينا صورة واضحة لما تجنيه أمُّ الخبائث (الخمر) على شاربيها ومدمنيها من أضرار جسيمة على الأفراد، وعلى الأسر، وعلى المجتمعات، ماديًّا ومعنويًّا، وبهذا تتبيَّن حكمة الإسلام في تحريم الخمر، ولعن كلِّ من شارك في صنعها أو الاتجار بها أو تقديمها من قريبٍ أو بعيد[1].

ومثل ذلك المخدِّرات والتدخين، وكلُّ ما يعتاد النَّاس تناوله من مأكول أو مشروب أو مشموم أو غيره، يضرُّ متناوله عاجلًا أو آجلًا، فضلًا عن الأضرار الأخلاقيَّة والنفسيَّة والاجتماعيَّة الأخرى.

وكذلك ما يُسَبِّبه انتشار الزنى من أمراض تناسليَّة وغيرها للرجال والنساء، بالإضافة إلى آثاره السيِّئة على الأنساب والأخلاق والأسر والمجتمع كلِّه، ممَّا يؤكِّد معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وتستطيع علوم الأحياء، ووظائف الأعضاء، والطب وغيرها، أن تبيِّن لنا حقيقة الفوارق الفطريَّة بين الذكر والأنثى ـ وبعبارة أخرى بين الرجل والمرأة ـ وأنَّ هذا التفاوت لم يكن عبثًا، وأنَّ تجاهله في التشريع والتربية والتعليم والتوجيه، لا يُعقِب إلَّا أسوأ النتائج، وأنَّ من الخير

(١) إشارة إلى حديث: لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له. رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥) وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٥٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

لكلا الجنسين، وللجماعة كلِّها، أن يكون لكلٍّ منهما عمله اللائق به، وثقافته الملائمة لوظيفته في الحياة، وبهذا يتلاقى منطق العلم مع منطق الدين الَّذي هو منطق الفطرة السليمة.

وحسبي هنا أن أنقل الكلمات التالية عن رجل يعدُّ من أقطاب العلم التجريبي في عصرنا، وهو الدكتور «ألكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» يقول: «إنَّ ما بين الرجل والمرأة من فروقٍ ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسيَّة، وعن وجود الرحم والحمل، أو عن اختلاف طريقة التربية، وإنَّما تنشأ عن سببٍ جِدُّ عميق، وهو تأثُّر العضويَّة بكاملها بالموادِّ الكيماويَّة ومفرزات الغُدَد التناسليَّة. وإن جهل هذه الوقائع الأساسيَّة، هو الَّذي جعل روَّاد الحركة النِّسائيَّة يأخذون بالرأي القائل بأنَّ كلا الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة، وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة. والحقيقة أنَّ المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكلُّ حجيرة في جسمها تحمل طابع جنسها، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضويَّة، ولا سيَّما الجهاز العصبي. وإنَّ القوانين العضويَّة ـ الفيزيولوجيَّة ـ كقوانين العالم الفلكي لا سبيل إلى خرقها، ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانيَّة، ونحن مضطرُّون لقَبولها كما هي؛ فالنساء يجب أن ينمِّين استعداداتهن في اتجاه طبيعتهن الخاصَّة، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فدورهنَّ في تقدُّم المدنيَّة أعلى من دور الرجال، فلا ينبغي لهن أن يتخلَّين عنه».

وقال أيضًا:

«يغفل النَّاس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة، مع أنَّ هذه الوظيفة ضرورة لكمال نموِّها، ولذلك كان من الحمق والسخف صرف

QaradawiBooks.com

المرأة عن الأمومة، فلا ينبغي أن يتلقَّى الفتيات والفتيان ثقافة واحدة، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة، ولا مثل أعلى واحد، وعلى المربِّين أن يعتبروا الفروق الجسميَّة والعقليَّة بين الذكر والأنثى، وما بين دوريهما الطبيعيِّين، فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتمدِّن»[1].

(ج) وثمَّت مجال آخر يمكننا فيه استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق الدين، وذلك بتعميق مدلولات بعض النصوص، وتوسيع نطاق مفهومها، وزيادة توضيحه بما كشف عنه العلم من مقرَّرات، وما توصَّل إليه من نتائج.

فإذا قال القرآن عن النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، يستطيع عالم الأحياء أو الكيمياء أو الطبِّ أو الأغذية ونحوها، أن يحدِّثنا بسَعَة عن عسل النحل وألوانه، وما فيه من شفاء، وفيم يكون، وكيف يكون؟

وإذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، أو: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، أمكن للعلم هنا بشتَّى فروعه أن يفيض في بيان دقَّة التقدير في كلِّ ما خلق الله في الكون، فحجم الكرة الأرضية، وبعدها عن الشمس بمسافة محدَّدة، ودورانها حول نفسها بسرعة معيَّنة، وبُعد القمر عنها بمسافة محدَّدة كذلك، واشتمالها على كمية المياه في بحارها ومحيطاتها بهذا المقدار، ووجود الغازات فيها بنسب ومقادير معلومة، وغيرها وغيرها، كلُّ ذلك يدلُّ على روعة التقدير الإلٰهي

(١) انظر: الإنسان ذلك المجهول لألكسيس كاريل صـ ١٠٨ ـ ١١١، ترجمة شفيق أسعد فريد، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وعظمته وشموله لكلِّ ما في الكون من مخلوقات، وبهذا يعمِّق العلم في عقولنا وقلوبنا معنى النصِّ القرآني، فنزداد به هدًى ويقينًا.

وإذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]، أو: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، يستطيع العلم هنا كذلك أنْ يبيِّن لنا سَعَة آفاق الهداية الإلٰهيَّة المبثوثة في الكون، علويِّه وسفليِّه، إنسانه وحيوانه، ونباته وجماده، كلُّ شيء فيه هُدِيَ لغايته، ويُسِّر لما خُلق له، ومُنح ما يساعده على ذلك من سنن الله وقوانين الكون، نجد ذلك في أضخم ما في الكون، إلى أصغر ما فيه، من المجرَّة إلى الذرَّة.

(د) ومجال رابع يدخل فيه العلم ويصول ويجول، وهو بيان سبق القرآن بكثير من الحقائق الَّتي كشف عنها العلم الحديث، وهو ما أشرنا إليه ونحن نتحدَّث عن «الإعجاز العلمي للقرآن».

وقد عُني كثيرون في عصرنا بهذا الميدان، إلى حدِّ الإفراط والتجاوز في بعض الأحيان، وجُلُّ هؤلاء من رجال العلم المتحمِّسين للدين، كما رفضه آخرون بالكلية، واستخدمه آخرون بتحفُّظ واعتدال، وهذا ما أراه. وأعني بالاعتدال، ألَّا نتعسَّف في التأويل، ولا نُخرج الألفاظ والتراكيب عن مدلولاتها اللغويَّة، ولا نحمل النصوص على فروض ونظريَّات لم تصبح حقائق عِلميَّة.

وممَّن استخدموا العلم في هذا الجانب العلَّامة الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير «المنار»، وفي بعض كتبه كـ «الوحي المحمدي»، حيث يتحدَّث فيه عن معجزات القرآن الفلكية والطبيعية ونحوها فيقول: «وأما إخبار القرآن عن عالم الغيب المادي، من تكوين وتاريخ، فمن معجزاته الإيجابيَّة أنَّه جاء فيه كثير من التعبيرات الَّتي كشف العلم

QaradawiBooks.com

والتاريخ في القرون الأخيرة من معانيها ما لم يخطر في بال أحد من أهل العصر الَّذي نـــزل فيه. ومن معجزاته الســـلبيَّة أنَّه لم يثبـــت على توالي القرون بعد نزوله شيء قطعي ينقض شيئًا من أخباره «القطعيَّة»، على أنَّ أخباره هذه إنَّما جاءت لأجل الموعظة والعبرة والتهذيب، ويكفي في مثل هذا أنْ تكون الأخبار على المألوف عند النـــاس، ولا يُنتقد عليها إذا لم تشـــرح الحقائق الفنِّيَّة والوقائع التَّاريخيَّة؛ لأنَّها ليست ممَّا يبعث الرسل لبيانه، ومنها ما لا يمكن الوقوف عليه إلَّا بالتعمُّق في العلم، أو الاستعانة بالآلات الَّتي لـــم تكن معروفة عنـــد المخاطبين الأوليـــن بالوحي، بل لا يصحُّ أن يأتي فيها ما يجزمون بإنكاره بحســـب حالتهم العِلميَّة، لئلا يكون فتنة لهم، ولقد قال نبي الإنسانيَّة العام: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[1].

ومن دقائق تعبير القرآن في النوع الأوَّل (التكوين) الَّتي اختلف في فهمها الناس: أنَّ مادة الخلق «دخان»، وهو عين ما يُسَـــمَّى السديم، وأنَّ السماوات والأرض كانتا رتقًا، أي مادة واحدة متَّصلة، ففتقهما الله وجعل كلًّا منهما خلقًا مستقلًّا، وبثَّ فيهما أنواع الدواب، ولم يكن أحد يعتقد أو يتصوَّر أنَّ في شيء من هذه الأجرام السماوية حيوانًا، وأنَّه جعل من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ، وأنَّه خلق جميع الأحياء النباتية والحيوانية أزواجًا، فجعل في كلٍّ منهما ذكرًا وأنثى، وأنَّـــه جعل كلَّ نبات موزونًا، يعني أنَّ عناصره متوازنة على نسب مقدَّرة، وأنَّه أرسل الرياحَ لواقحَ، وأنَّه ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمـــر: ٥]، والتكويـــر هو اللفُّ على الجسم المستدير، وهو صريح في كرويَّة الأرض ودورانها، اللذين كانا موضوع الجدال والنضال بين العلماء إلى عهدٍ قريبٍ بعد الإسلام.

(١) سبق تخريجه صـ ٧٢.

QaradawiBooks.com

وأمثال هذا فيه كثير، حتَّى إنَّ بعض آياته في الشمس والقمر والنجوم وسبحها في أفلاكها، وجريانها إلى أجل مسمَّى، وفي تناثر الكواكب عند خراب العالم، لا تُفهم فهمًا صحيحًا إلَّا في ضوء علم الفلك الحديث.

وأعجب منه إثباته أنَّ للخلق سننًا لا تتبدَّل، وبيانه لكثيرٍ منها، ومن سنن الاجتماع الَّتي لم يهتدِ البشر إليها بالبحث العلمي إلَّا بعد بيان القرآن لها بقُرون»[1] اهـ.

إنَّ الداعية الَّذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات الَّتي ذكرناها، يجد طريقه إلى أذهان النَّاس وعواطفهم سهلًا معبَّدًا، ويقع كلامه من نفس المثقفين العصريين موقع القَبول وحسن التأثير، ولعلَّ هذا من أظهر الأسباب وراء نجاح بعض الدعاة المرموقين في عالمنا العربي اليوم.

* * *

(١) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا صـ ٢٦١، ٢٦٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الثقافة الواقعيَّة

ومن أهــمِّ ما يلزم الداعية التســلُّح به من ألوان الثقافــة بعد ما تقدَّم: ما ســمَّيناه «الثقافة الواقعيَّة»، ونعني بها: الثقافة المستمدَّة من واقع الحياة الحاضــرة، وما يدور به الفلــك في دنيا النَّــاس الآن، في داخــل العالم الإســلامي وفي خارجه، فلا يكفي الداعيــة أن يكون قــد حصَّل العلوم الإســلاميَّة، وجال في مراجــع الأدب واللغة والتاريــخ، وأخذ بحظِّه من العلوم الإنسانيَّة ومن العلوم التجريبية، ولكنَّه مع هذا كلِّه لا يعرف عالمه الَّذي يعيش فيه، وما يقوم عليه من نُظم، وما يسوده من مذاهب، وما يحرِّكه من عوامل، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب، وبخاصَّة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط، بآلامه وآماله، وأفراحه ومآسيه، ومصادر قوَّته، وعوامل ضعفه، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلِّيَّة، وما يسودها من أوضاع وتقاليد، وما تقاسيه من صراعات ومشكلات، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار.

إنَّ الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف مَن يدعوهم، حتَّى يعرف كيف يدعوهم، وماذا يقدِّم معهم وماذا يؤخِّر؟ ولهذا حين بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «**إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شــهادة أن لا إلٰــه إلَّا الله، فإنْ هــم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة، فإنْ هم**

QaradawiBooks.com

أطاعوا لذلك، فأعْلِمْهم أنَّ الله افتــرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم»[1].

ومعنى هذا أنَّهم لو كانوا مجوسًا أو ملاحدة أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى.

ومن هنا يجب على الداعية في عصرنا أن يدرس:

١ ـ واقع العالم الإسلامي:

بمعرفة خُلاصــة مركَّزة عن أوضاعه الجغرافية والسياســيَّة، وتوزيع ســكانه، وأســباب تخلُّفه وتفرُّقة، وعوامل تقدُّمه ووحدتــه، وإمكانات تكامله اقتصاديًّا، وتضامنه سياسيًّا وعسكريًّا، فضلًا عن تقاربه اجتماعيًّا وثقافيًّا.

أضواء على فكرة «الجامعة الإســلاميَّة» أو «الكتلة الإســلاميَّة» أو «التضامن الإسلامي» باعتباره خطوة في طريق «الخلافة الإسلاميَّة».

مشكلات الأقليات والأكثريات الإســلاميَّة المضطهدة: في الفلبين، في قبرص، في أرتيريا، في الحبشــة، في الاتحاد السوفييتي، في أوربا الشرقيَّة، في ألبانيا، في يوغوسلافيا، في الصين، في الهند.

٢ ـ واقع القوى العالميَّة المعادية للإسلام:

وتتمثَّل في المثلث الرهيب: اليهوديَّــة العالميَّة، والصليبيَّة العالميَّة، والشيوعيَّة الدوليَّة، وهي قد تختلف فيما بينها، لكنَّها متَّفقة علينا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من دراسة الأسباب والدوافع وراء كيدها لنا: الحقد، الطمع، الخوف، الاستعلاء، إلخ. وسائلها في حربنا: الحرب السياسيَّة، الحرب الاقتصاديَّة، الحرب الفِكْريَّة. خطورة هذه الحرب الأخيرة وأساليبها وأجهزتها.

التبشير: مؤسَّساته وإمكاناته الهائلة، الغارة النصرانية على العالم الإسلامي، الصراع بين الإسلام والتبشير في إفريقيا، التخطيط لتنصير إندونيسيا أكبر بلد إسلامي، محاولات التنصير في العالم العربي، الفشل وتغيير الخطة، التعاون بين التبشير والاستعمار، وكذلك بين التبشير والشيوعيَّة أخيرًا.

الاستشراق: أهدافه ووسائله، إسهامه في إحياء التراث، كتابات المستشرقين عن الإسلام ومدى علميَّتها، المنصفون والمتحاملون من المستشرقين، سموم الفكر الاستشراقي وآثارها في عالمنا العربي الإسلامي، تلاميذ المستشرقين.

الغزو الشيوعي: عن طريق الخبراء والمساعدات والمؤسَّسات الثقافية، والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعيَّة، وتأييد الأحزاب الشيوعيَّة في الداخل بالتمويل والتوجيه.

المؤسسات المشبوهة: الماسونية وما تفرَّع عنها: خطرها وأساليبها الماكرة، وتغلغلها في الطبقات الأرستقراطية... نوادي الروتاري.

الغزو من الداخل: عن طريق العملاء وعبيد الفكر الغربي، والأحزاب الموالية من ليبرالية ويسارية، احتضان الفرق المنشقَّة على الإسلام كالبهائية والقاديانية... الحكَّام العلمانيِّين، إلخ.

QaradawiBooks.com

وينبغي هنا التنبيه على أمرين:

(أ) عدم التهويل أو التهوين من شأن القوى المعادية ومخطَّطاتها، حتَّى لا يؤدِّي ذلك إلى اليأس من مقاومتها أو الاستهانة بها.

(ب) الاستفادة من الصراع القائم بينها بذكاء، واستغلال الفرص المناسبة لذلك، كالصراع بين روسيا والصين، وقد كان السلف يقولون: اللهمَّ

اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

٣ ـ واقع الأديان المعاصرة:

اليهوديَّة: توراتها المحرَّفة، وتلمودها الرهيب، ونظرته إلى الأمميِّين، وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل.

المسيحيَّة: طوائفها وكنائسها المختلفة، وما بينها من صراع، ومحاولات التقارب بين بعضها وبعض، محاولات تقرُّبها من اليهوديَّة، وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح، محاولات ما يسمَّى «التقارب الإسلامي المسيحي» وقيمتها.

أديان الشرق الأقصى الكبرى، مثل:

الهندوكية الوثنيَّة: عقائدها، وطوائفها، موقفها من المسلمين.

البوذية: ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى، وأثرها في حياة أتباعها.

٤ ـ واقع المذاهب السياسيَّة المعاصرة:

من شيوعيَّة ورأسماليَّة واشتراكيَّة وديمقراطيَّة ودكتاتوريَّة، وتعدُّد مدارسها واختلاف تطبيقاتها.

QaradawiBooks.com

ونرى ذلك في النظريَّة الشـيوعيَّة الماركسـية، ومدى اختلافها في تطبيق «لينين» وخلفائه في روسيا عن تطبيق «ماو» في الصين، بل ما بين «ستالين»، ومن بعده «خرشـوف»، إلى «بريجنيف». عجز الشيوعيَّة عن تحقيق فلسفتها الخيالية في مساواة الدخول، وزوال الدولة، إلخ.

الشـيوعيَّة في أحزاب أوربا الغربيَّة: تخلِّي بعض زعمائها عن بعض المفاهيم الأساسيَّة للماركسية، كنظريَّة الصراع الطبقي، موقف الشيوعيَّة من الأديان عامَّة والإسـلام خاصَّة، موقفها من القيم الأخلاقيَّة، موقفها من الحريات.

الرأسـماليَّة المعاصرة: ومدى مغايرتها للرأسـماليَّة في بداية نشأتها، الرأسـماليَّة في أمريكا وأوربا واليابان، آثار الرأسماليَّة الآن وموقفها من الدين، الرأسماليَّة علمانية، معنى قيام أحزاب ديمقراطيَّة مسيحيَّة في أوربا.

الاشـتراكيَّة: وكثرة مدارسـها واختلاف ما بينها، من إصلاحية إلى عِلميَّة، الجامـع بين الاشـتراكيات المختلفة، فرق ما بين الاشـتراكيَّة والشيوعيَّة. الاشتراكيَّة والدين، معنى قيام أحزاب اشتراكيَّة مسيحيَّة في أوربا.

الديمقراطيَّـة: معناهـا وأنواعها، ادِّعاء الشـيوعيين والرأسـماليين والاشتراكيين لها. ديمقراطيَّة الصراع السياسي، أو الاجتماع السياسي، أو التحالف السياسي. أزمة الديمقراطيَّة في العالم.

الدكتاتوريَّة: معناها، وأنواعها، دكتاتوريَّة الطبقة، دكتاتوريَّة الحزب، دكتاتوريَّة الزعيم، التجربة الفاشية والنازية، الدكتاتوريَّة في عالمنا اليوم.

موقف الإسـلام من هذه المذاهب، الإسلام نسـيج وحده، ما وافق الإسلام منها في شـيء خالفه في أشياء، تميُّز الإسـلام عنها في غاياته

QaradawiBooks.com

ووسائله، خطأ إضافة الإسلام إلى مذهب منها، استغناء أمتنا بما عندها عن استيراد مذهب أجنبي عنها، جناية الحلول المستوردة على أمتنا، حتمية الحل الإسلامي...

٥ ـ واقع الحركات الإسلاميَّة المعاصرة:

الحركات الإقليمية، الحركات العالميَّة، الحركات الجزئيَّة، الحركات الشاملة.

أهم هذه الحركات في العالم الإسلامي: حركة الجماعة الإسلاميَّة في باكستان والهند، حزب ماشومي في إندونيسيا، الحركة الإسلاميَّة في تركيا، حزب التحرير في الأردن وفلسطين، الإخوان المسلمون في مصر والعالم العربي، وهي كبرى الحركات الإسلاميَّة الحديثة.

الدعوة الإسلاميَّة في العالم العربي الإسلامي: مؤسساتها ووسائلها، المساجد ورسالتها، وما ينقصها، وما يمكن أن تقوم به، مؤتمر رسالة المسجد، المجلَّات الإسلاميَّة ودورها، الكتب الإسلاميَّة.

الدعاة المرشدون: المؤتمر العالمي الأوَّل لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، توصياته ودراساته.

أهميَّة الجامعات والمعاهد الإسلاميَّة ووظيفتها.

دور وزارات الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة.

الدعوة الإسلاميَّة في خارج العالم الإسلامي: في آسيا وإفريقيا، في أوربا وأمريكا. المراكز الإسلاميَّة، والجمعيات الإسلاميَّة، الاتحادات الطلابية، المدارس الإسلاميَّة. أهميَّة التنسيق والترابط بين المؤسسات،

QaradawiBooks.com

الحذر من مؤامرات القوى المعادية عليهـا، وجوب معاونتها من داخل العالم الإسلامي ماديًّا وأدبيًّا.

دور الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من المؤسسات في نشر الدعوة ومعاونة دعاتها، تحذير الحكومات من التدخُّل في توجيه هذه المؤسسات لخدمة السياسات المحلية.

٦ ـ واقع التيارات الفِكْريَّة المعارضة للإسلام:

ونعني بها التيارات الموجودة داخل العالم الإسلامي مثل:

التيار اليساري أو الماركسي، وهو تيار مادي الفكرة، موالٍ للمعسكر الشيوعي.

التيار الليبرالي، الموالي للمعسـكر الغربي، ويمثِّله كُتَّاب وصحف وأحزاب، وهو تيار علماني.

التيار القومـي، القومية العربيَّة، أو الطورانيَّة أو الفارسـيَّة ونحوها، وهو تيار علماني أيضًا ينادي بفصل الدين عن الدولة.

٧ ـ واقع الفرق المنشقَّة على الإسلام:

وأبرزها وأخطرها: البهائية والقاديانية.

أما الأولـى فهي دين جديد مخالف للإسـلام كلَّ المخالفة، ولا يزعم دعاتها أنفسهم أنَّها من الإسلام، وإن نشأت أوَّل ما نشأت في أرض الإسلام.

وأما الثانيـة فهي فرقة مارقـة تدَّعي نبـوَّة جديدة بعـد أن ختمها مُحَمَّـد ﷺ. وهذه تحاول جاهدة أن تلتصق بالإسـلام وأمة الإسـلام، وكلتاهما تحظى بمساندة القوى المعادية للإسلام.

QaradawiBooks.com

٨ ـ واقع البيئة المحلِّيَّة:

فكلُّ داعية عليه أن يـدرس البيئة الَّتي يعيش فيها ويعرف أوضاعها، وتقاليدها، ويتعمَّق في فَهم مشكلاتها ونفسيات أهلها وما يؤثِّر فيها، كما عليـه أن يعرف لغتهـم ليكلِّمهم بلسـانهم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

ولهذا نرى معرفة اللغات الحية ـ أو لغـة منها على الأقل ـ ضرورة للداعية في عصرنا.

هذه معالم سريعة لما ينبغي أن تقوم عليه ثقافة الواقع، ولا يخفى أنَّ هذه الثقافة لا تسـتمدُّ مـن الكتب وحدهـا، فهي ثقافة ناميـة متجدِّدة مسـتمرَّة، يمكن الداعية أن يجدها في الصحف والمجلَّات والدوريات والنشرات الرسميَّة وغير الرسميَّة.

والداعية ذو العقل اليقظ، والحسِّ المرهف يسـتطيع أن يأخذ مددًا جديدًا من كلِّ ما حوله مـن وقائع الحياة اليوميَّة، مـن أخبار الصحف ووكالات الأنباء، وتعليقات المعلِّقين، ويمكنه أن يعدَّ لذلك سـجلًّا أو أرشـيفًا، يدوِّن فيه ما يهمُّه من هذه الوقائع والأخبار، ويصنِّفها ويضعها عند الحاجة في مكانها، فإنَّ أحداث اليوم هي تاريخ الغد، الَّذي يدرسه الدارسون ويحلِّله الناقدون.

على أنَّ لهذه الأخبار والأحداث مزيَّة على الأحداث والأخبار الماضية، وهو جدَّتها وحضورها في الأذهان، لهذا يكون لها أبلغ الواقع والتأثير.

بل يستطيع الداعية أن يتلقَّى معلوماته عن الواقع من مصادره الحية المباشرة، بلقاء النَّاس ومخالطتهم ومشـاهدة أحوالهم، والاستماع إلى

QaradawiBooks.com

أحاديثهم، في الحضر والسفر، فإنَّ السفر نصف العلم، ولهذا كان علماؤنا الأولون أكثر النَّاس ترحالًا في طلب العلم من أهله في مواطنهم.

وقد قال الشاعر العربي:

يا ابنَ الكرامِ أَلَا تَدْنُو فتُبْصِرُ ما قَدْ حَدَّثوكَ، فما راءٍ كمن سمعا[1]

وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) قال المُحِبِّي: هذَا الْبيت ممَّا كثر تضمُّنه قَدِيمًا وحديثًا وَلَا أَدْرِي لمن هُوَ. خلاصة الأثر (٢٤٧/١)، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٣٠
﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾	٣٣	٣٠
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾	٣٥	١٤١
﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٧٥	٤٩
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾	٧٨	٤٩
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾	١٠٢	١٤٢
﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾	١١٨	١٢٨
﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾	١٢٠	١٥٨
﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾	١٣٦	٥١
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾	١٤٨	١١٣
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾	١٧٧	٧٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	١٠٤، ١١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾	١٨٥	٢٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	٢٠٨	١٢١
﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٢١٦	١٦
﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢١٩	٢٤
﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾	٢٢١	١٤١
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾	٢٣١، ٢٣٢	٢٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾	٢٧٨، ٢٧٩	٤١
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٢٨٢	١٦، ٣٨
﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٢٨٥	١٠٧
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٧	٤١
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾	١٨	٢٧
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾	٣٠	١٦٤
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾	١٠٤	٢٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾	١٣٠	٤٠
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾	١٥٩	٩
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	١	١٤١
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾	٢	١١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١١	١٧
﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾	٣٤	٦٠
﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾	٣٥	٧٦
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	٢٨
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾	٨٣	٢٨
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٣٦
﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	١٠٠	٧٤
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾	١٢٢	٣٦
﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾	١٧١	٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾	١٧٤	١٤، ١٧
﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾	١٧٦	٣٨
سورة المائدة		
﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	١١٢، ١٢٠
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾	٤	٢٨
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾	١٣	٤٩
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥	١٧
﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	٢١ ـ ٢٤	٣٥
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ﴾	٢٨، ٢٩	٣٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	٣٠	٣٥
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ ﴾	٣١	٢٧
﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٣٨	١٧
﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٦٠
﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٥	٦٠
﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٤٧	٦٠
﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	٣٦
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	٧٢	٤٣
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾	٧٣	٤٣
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	٧٥	٤٣
﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾	٩٠	١١٢
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٩١	١١٢
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾	١١٧	٤٣
سورة الأنعام		
﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾	٣٨	٣٧
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	١١٥	١٦
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾	١٢٢	١٥
﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	١٣٢
﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾	١٤٥	١٠٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾	١٩	١٤١
﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٢٠ ـ ١٢٦	٣٢
﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾	١٣٧	١٢٧
سورة الأنفال		
﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٤٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾	٢٩	٣٨
﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾	٧٠	٧٥
سورة التوبة		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾	٢٨	١٧
﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾	٣٠	١٥٨
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	٧١	٣٦
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾	١٠٣	١٠٤، ١١١
﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	١٠٤	١١١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾	١١١	٤٧
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٤، ١٦
سورة يوسف		
﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾	٢٣	٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾	٣٧ ـ ٤٠	٣٤
﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾	٧٦	٢٨
﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ ﴾	٧٨، ٧٩	١٤٦
﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	٤، ١٢
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ ﴾	١١١	٢٩، ١٢٧، ١٢٩
سورة الرعد		
﴿ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾	١٧	١٧
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾	٤	١٧٨
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٢١
﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	١٦	٢٥
سورة النحل		
﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾	٦	٢٥
﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٤٣	٢٨
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٤٤	٦٢
﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾	٦٤	٦٢
﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ ﴾	٦٩	١٦٧
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾	٨٩	٢٢، ٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	٢٦، ٢٧	١١٢
﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾	٣١	١١٢
﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	١٠٨، ١١٢، ١٦٥
﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٢٨
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾	٨٨	١٨
سورة الكهف		
﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾	١٣ ـ ١٥	٣١
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	٥٠
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾	٥٢	٩٤
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾	٦٠، ٦١	٢٩
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾	٦٥	٢٥، ٢٨
﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾	٦٦	٢٨
﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا﴾	٩٦، ٩٧	٣١
سورة مريم		
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾	٤١ ـ ٨٤	٣٤
﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي﴾	٤٣	٢٧
﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	٥٩	٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾	٥	١١٦
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾	١٤	١١٠
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾	٤٤	٣٧
﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	١٦٨
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾	١١٤	٢٨
سورة الحج		
﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾	٢٧	١٠٤، ١١١
﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾	٢٨	١٠٤
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾	٣٧	٧٣، ١١١
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	٣٦
﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ﴾	٤٦	١٢٦
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	٥٢	٥٨
﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	٧٧	٢٥
سورة الفرقان		
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾	٢	١٦٧
﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	٦	١٦
﴿ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾	٥٩	٢٨
﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾	٦٨	٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٧٣
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾	١٩٢ ـ ١٩٥	١٦
سورة النمل		
﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	٦	١٦
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾	١٩	٣٢
﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾	٢٢	٢٧
﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾	٤٠	٣٢
﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾	٤٠	٣١
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٥٢، ٥٣	١٢٧
﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾	٦٠	٢٥
﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾	٨٨	٢٥
سورة العنكبوت		
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾	٤٥	١٠٣، ١١٠
سورة الأحزاب		
﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾	٦	٣٧
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾	٣٦	٣٦
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾	٣٧	٥٧

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾	١٥ ـ ١٧	٣٥
﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾	١٧	١٢٧
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾	٤٦	٢٤، ١٥٣
سورة فاطر		
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	٢٨، ١٥١
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	٢٧
سورة يس		
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	١٢	٣٧
﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾	٣٨	٨٧
سورة الصافات		
﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٤	٧٣
﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾	١٠٢	٣٣
سورة ص		
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾	٣٤	٥٣
﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾	٤٤	٣٣
سورة الزمر		
﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾	٥	١٦٩
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	٩	٤، ٢٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾	٢٨ ـ ٣٤	٣٣
سورة فصلت		
﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٢	١٦
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٧
﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾	٤١	٢١
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	١٦، ٢١
سورة الشورى		
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾	١١	١١٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	١٤
سورة الزخرف		
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٥٩	٤٣
سورة الدخان		
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥٨	١٧
سورة محمد		
﴿ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	١٤	١٢
سورة الفتح		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾	١٠	٤٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ق		
﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾	٧	٢٥
﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾	٣٣	٧٣
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾	٣٦، ٣٧	١٢٧
سورة الذاريات		
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾	٥٢، ٥٣	١٢٨
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦	١٠٤
سورة القمر		
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾	١٧، ٢٢، ٣٢	١٧
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	٤٩	١٦٧
سورة الحديد		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾	٢٨	٣٨
سورة المجادلة		
﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾	١١	٢٧
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾	٢	١٣١
سورة التغابن		
﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾	٣	٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾	٢	٣٨
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾	١٢	١٠٥
سورة التحريم		
﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾	١٠	٣٤
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾	١١	٣١، ٣٤
سورة الملك		
﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾	٥	٢٥
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾	٤	٩
سورة الحاقة		
﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٤٣	١٦
سورة التكوير		
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٧	٢٢
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦ ـ ٨	٢٣
سورة الأعلى		
﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	٣	١٦٨
﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾	٢١ ـ ٢٢	٥٣

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

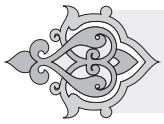

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا التقى المسلمان بسَيْفَيْهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النَّار	٧٥
إذا حدَّثتم النَّاس عن ربِّهم، فلا تحدِّثوهم بما يغرب أو يشقُّ عليهم	٨٨
إذا مَرِضَ العبدُ أو سافر كُتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيحٌ مَقِيمٌ	٧٥
«أركعتَ رَكْعَتَيْن؟». قال: لا. قال: «قمْ فاركَعْهما»	١٠٢
أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ	٤٢
أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا	٩
الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس بعدي من سُنَّتي	٧٨
أمَّا صَدَقَتُكَ على سارق، فلعلَّه أنْ يستعفَّ عن سرقته	٧٦
أمر ﷺ زيد بن ثابت كاتب الوحي بتَعَلُّم اللغات	٧٢
إنَّ أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شِعْبًا ولا واديًا إلَّا وهم معنا، حَبَسَهم العُذْرُ	٧٥
إنَّ الله زوى لي الأرض (أي جمعها وضمَّها) فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها	٨١
إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا	٧٦
إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس	٥، ١٠٠
إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوَرِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم	٧٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَن يجدِّد لها دِينَها	٨١
إنَّ من البيان سحْرًا، وإنَّ من الشعر حُكْمًا	١٤٢
أنتم أعلمُ بأمر دُنْيَاكم	٧٢، ٧٧، ١٦٩
إنَّك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه	١٧١
إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	٧٣
إنَّما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار، لإقامة ذكر الله	١١١
إنَّما الدنيا لأربعةِ نفر	٧٥
اهجُهم ورُوحُ القُدُسِ مَعَك	١٤٢
أوَّل من تُسَعَّر بهم النَّار يوم القيامة	٧٤
ب	
بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء	٧٨
بَشِّرْ هذه الأُمَّةَ بالسَّنَاء والدِّين، والرِّفْعة والنَّصْر، والتمكين في الأرض	٨٤
بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	٥، ٤٩، ٥٢
بُنِيَ الإسلامُ على خمس	٨٥
بئس أخو العَشِيرَةِ	٨٦
بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ، في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه	٦٩
ت	
تكون النبوَّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء	٨٢
ح	
... حتَّى اللقمة يَضَعُها في فمِ امرأته	٧٣
الحكمة ضالَّة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها	٧٢، ١٥٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خ	
الخيلُ ثلاثة: ففرسٌ للرحمٰن، وفرسٌ للإنسان، وفرسٌ للشيطان	٧٤
ع	
على رأي سلمان في حفر الخندق	٧٢
ف	
فأُحْصُوا له، فكانوا ألفًا وخمسمائة	٧٢
ك	
كان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه	٦٩
كان خُلُقه القرآن	٦٢، ٦٨
كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا	١٥٥
كان يفدي الأسير من قريش في غزوة بدر إذا علَّم عشرةً من أبناء المسلمين	٧١
كفى بالمَرْءِ كذبًا أن يُحَدِّث بكلِّ ما سمع	٨٩
الكلمةُ الحكمة ضالَّةُ المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها	١٥٨
ل	
لا تبشِّرهم فيتَّكلوا	٨٩
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله، لا يَضُرُّهم مَن خذلهم	٨٣
لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود، فيختبئ اليهوديُّ وراء الحَجَر	٨٤، ٨٥
لا تقومُ الساعةُ حتَّى يكثُرَ المالُ ويَفِيض، حتَّى يُخرج الرجلُ زكاةَ مالِه	٨٤
لا يقضي القاضي وهو غضبانُ	١٥٣
لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة	١٦٥
لن يبرحَ هذا الدِّينُ قائمًا، تُقاتلُ عليه عصابةٌ من المسلمين، حتَّى تقوم الساعة	٨٣

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لو لم يبقَ من الدُّنْيا إلَّا يوم، لطوَّل اللهُ ذلك اليومَ حتَّى يبعث الله فيه رجلًا مِنِّي	٨٤
ليَبْلُغَنَّ هذا الأمر (يعنى هذا الدِّين) ما بلغ الليلُ والنَّهار	٨٠
ليُدْرِكَنَّ المسيحُ من هذه الأمة أقوامًا إنَّهم لمثلكم أو خيرٌ	٨٤
م	
ما أنتما بأقوى مِنِّي على المشي، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر	٦٩
ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعْطِيَ ما مثله آمن عليه البشر	٥، ١٨
مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المطر، لا يُدرى أوَّله خيرٌ أم آخره»	٨٢
مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم، كمَثَلِ الغَيْثِ الكثير أصاب أرضًا	٦٣
مدينةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أولًا!	٨١
مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ	٧٦
مَن أخذ أموال النَّاس يريد أداءها، أدَّى الله عنه	٧٥
مَن حدَّث عَنِّي بحديثٍ يَرَى أنَّه كذب، فهو أحدُ الكاذبين	٩٠
مَن سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بَلَّغَه اللهُ منازل الشهداء، وإن مات على فراشه	٧٥
مَن غزا في سبيل الله ولم ينوِ إلَّا عِقَالًا فله ما نوى	٧٤
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضًا	٣٧
ن	
ناس صالحون قليلٌ في ناسٍ كثير، مَن يعصيهم أكثر ممَّن يُطِيعهم	٧٩
النُّزَّاع من القبائل	٧٩
نزوله على رأي الحُبَاب بن المُنْذِر في معركة بدر	٧٢
نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح	٩٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
و	
وفي بُضْعِ أَحَدِكم صدقة	٧٤
ولن يُخْزِي اللهُ أُمَّة أنا أوَّلُها والمسيحُ آخرها	٨٤
ويلٌ وادٍ في جهنَّم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره	٩٤
ي	
يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين	١٢
يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا	١٥٤
يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلةُ إلى قصعتها	٨٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **الثقافة الدِّينيَّة** **١٢**

❖ **القرآن الكريم وتفسيره** **١٤**

• الداعية مع القرآن ١٥

• خصائص القرآن ١٥

١ ـ كلام الله ١٦

٢ ـ التيسير ١٧

٣ ـ الإعجاز ١٨

٤ ـ الخلود ٢١

٥ ـ الشمول ٢١

• تنبيهات للداعية في المجال القرآني ٢٦

• جمع الآيات في الموضوع الواحد وتصنيفها ٢٦

• العناية بالقصص القرآني ٢٩

• العناية بالنماذج القُرآنيَّة ٣٢

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- حُسْن الاستدلال بآيات القرآن ٣٦
- الحذر والتحذير من سوء التأويل وتحريف الكلم عن مواضعه ٣٩
- علوم القرآن ٤٣
- تفسير القرآن ٤٤

وصايا لقارئ كتب التفسير ٤٦

١ ـ الاهتمام بلُباب التفسير ٤٦

٢ ـ الإعراض عن الإسرائيليَّات ٤٨

٣ ـ الحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة ٥٥

٤ ـ الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة ٥٩

❖ **السُّنَّة النَّبويَّة ٦٢**

- تنبيهات للداعية في مجال السُّنَّة ٦٧

(أ) الاهتمام بالسيرة النبويَّة ٦٨

- موقف السُّنَّة من العلم ٧١
- قيمة النِّيَّة في الإسلام ٧٣
- مقاومة حملة التشكيك في الأحاديث الصحاح ٨٥
- تجنُّب الأحاديث المشكلة على جمهور النَّاس لغير ضرورة ٨٧
- الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية ٨٩
- من أين تتسرب الأحاديث الضعيفة إلى الدعاة؟ ٩٦

❖ **الفـقــه ١٠٠**

- محذورات ينبغي التنبُّه لها ١٠٤
- المبالغة في تعليل العبادات ١٠٤

QaradawiBooks.com

- التعليل بأمرٍ غير جامعٍ ولا مانع ١٠٥
- الاقتصار على التعليلات المادِّيَّة ١٠٩
- علم أصول الفقه ١١٣
- علم العقيدة ١١٤
- التصوُّف ١١٧
- النظام الإسلامي ١٢٠

❖ **الثقافة التَّاريخيَّة ١٢٦**

- تنبيهات للدعاة في المجال التاريخي ١٢٩
- تحذيرات للدعاة في المجال التاريخي ١٣٣

❖ **الثقافة الأدبيَّة واللغويَّة ١٤٠**

❖ **الثقافة الإنسانيَّة ١٤٩**

- تنبيهات لدارس العلوم الإنسانيَّة ١٥٠
- علم النفس ١٥١
- علم الاجتماع ١٥٥
- الفلسفة ١٥٧
- علم الأخلاق ١٥٩
- علم التربية ١٦٠

❖ **الثقافة العِلميَّة ١٦٢**

❖ **الثقافة الواقعيَّة ١٧١**

١ ـ واقع العالم الإسلامي ١٧٢

٢ ـ واقع القوى العالميَّة المعادية للإسلام ١٧٢

QaradawiBooks.com

٣ ـ واقع الأديان المعاصرة ١٧٤
٤ ـ واقع المذاهب السياسيَّة المعاصرة ١٧٤
٥ ـ واقع الحركات الإسلاميَّة المعاصرة ١٧٦
٦ ـ واقع التيارات الفِكْريَّة المعارضة للإسلام ١٧٧
٧ ـ واقع الفرق المنشقَّة على الإسلام ١٧٧
٨ ـ واقع البيئة المحلِّيَّة ١٧٨

❖ **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ١٨٣**

❖ **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ١٩٧**

❖ **فهرس الموضوعات ٢٠٣**

❊ ❊ ❊

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com